

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية - قطب شتمة

قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

عنوان المذكرة

محمد بن العابد السماتي الجلالي 1890 م - 1967 م
وإسهاماته في الحركة الوطنية الجزائرية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص التاريخ المعاصر

إشراف الأستاذ :

إعداد الطالب :

لخميسي فريح

عبد المالك عتيق حمود

السنة الجامعية : 2013/2012

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية - قطب شتمة

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

عنوان المذكرة

محمد بن العابد السماتي الجلالي 1890 م - 1967 م

وإسهاماته في الحركة الوطنية الجزائرية

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر تخصص التاريخ المعاصر

إشراف الأستاذ :

لخميسي فريح

إعداد الطالب :

عبد المالك عتيق حمود

السنة الجامعية : 2012/2013

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ »

سورة البقرة - الآية 32

الإهداء

... إلى والديا العزيزين حفظهما الله تعالى

إلى زوجتي التي ترافقتني في رحلة الحياة وأعاننتني على تحمل أعبائها

إلى أختي وأخواتي وكل الأقارب

إلى أولادي : أميرة ، إكرام ، محمد

إلى روح المجاهد المربي الشيخ محمد بن العابد السماتي الجلاي رحمة الله عليه

إلى كل أفراد الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية

إلى كل الذين قدموا لي يد العون لإنجاز هذا العمل

« عبد المالك عتيق حمود »

كلمة شكر

أول من وجب إليه الشكر هو الله سبحانه وتعالى الذي له الفضل والحمد والمنة أن وفقني لإنجاز هذا العمل.

ثم الشكر الموصول للمشرف الأستاذ " لخميسي فريخ " الذي كان عوناً لي وصبر معي وقدم لي يد المساعدة فله كل الشكر والتقدير والشكر الجزيل كل أساتذتي بقسم العلوم الإنسانية وشعبة التاريخ وعلى رأسهم مسؤول شعبة التاريخ الأستاذ " نصر الدين مصمودي " الذي لم يبخل علينا بأي معلومة أو نصح أو توجيه أو مساعدة طيلة مشوار الدراسة ، ثم الشكر والتقدير إلى أخي وصديقي الأستاذ الباحث " فوزي مصمودي " مدير المتحف الجهوي للمجاهد الذي قدّم لي يد المساعدة في المصادر و المراجع.

ثم الشكر إلى الأستاذ " عامر بن بوزيد " رئيس المركز الثقافي بأولاد جلال الذي قدّم لي يد المساعدة وزودني بكل ما احتجته في هذه الدراسة وإلى أفراد الجمعية الخلدونية وعلى رأسهم الأستاذ " سليم كرام " الذي بدوره لم يبخل في تقديم يد المساعدة من معلومات وتوجيه وتصويب وإلى الأستاذ المحترم " عبد القادر صيد " الذي قدم لي يد المساعدة من تصحيح و توجيه والأستاذ " السايح بلعدي " والأستاذ " عبد الله لالي " ، عادل بوزاهر ، فاتح رميشي .

إلى أستاذي مدير إكمالية " محمود حوحو " الأستاذ " صالح بن عليّة " الذي له كل الفضل في مساعدتي في مشوار الدراسة .

مقدمة

مقدمة

لقد ظنت فرنسا باحتلالها وسيطرتها على الجزائر سنة 1830م أنها تمكنت من القضاء على الدولة الجزائرية، غير أن رفض الشعب لهذا الاستعمار جسده في المقاومة الشعبية التي امتدت سنين طوال حتى القرن العشرين ، وأخذ هذا الرفض الشعبي لهذا الدخيل ألوانا أخرى تجسدت في الحركة الوطنية التي تنوعت روافدها، ومن أبرزها تيار الحركة الإصلاحية الذي تزعمته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان هذا التيار يقوده نخبة من العلماء ورجال الدين.

وتعتبر الفترة الممتدة من 1919- 1962 بداية ظهور نهضة ثقافية وطفرة نوعية في مجال الحراك السياسي والأدبي والتربوي، تفاعل معها الشعب الجزائري في الداخل وواجهته فرنسا الاستعمارية بأساليبها الاستبدادية، فتأسست الأحزاب الوطنية بمختلف مشاربها وأيديولوجياتها واتجاهاتها، وصدرت الصحف العربية التي استطاعت أن تصمد حيناً من الدهر في وجه التعنيم و التعتيل وكتم الأنفاس ومصادرة الرأي الحر ، كما تأسست مدارس ومعاهد أبرزها معهد العلامة عبد الحميد بن باديس بقسنطينة عام 1947.

جاءت الثورة التحريرية الكبرى لتكون خلاصة لكل أنواع المقاومات الشعبية والحركة الوطنية، التي قام بها الشعب الجزائري، فكان رد الاستعمار الفرنسي بكل ألوان الوحشية البربرية، التي تجسدت في سياسة الحديد والنار التي اعتمدها الجنرالات بمختلف المشاريع

التي جاؤا بها ، سواء الإغرائية أو الوحشية ضد هذا الشعب الأعزل ، غير أن إرادة هذا الشعب كانت من إرادة الله الذي حكم على هذه الأمة أن تتحرر من قيود الاستعمار الهمجى ، فاستطاع رجالات هذه الثورة إفشال كل المشاريع، وتجسدت ملحمة الجزائر وتوحد الشعب بكل شرائحه نساء ورجالا ، فلاحين ، عمالا ، و لبي الطلبة نداء أول نوفمبر و تركوا حلوالحياة لأجل هذا الوطن إما النصر أو الشهادة، ومن هؤلاء المخضرمين الذين قاوموا الاستعمار بالقلم والكلمة وتهيئة لحظة الانفجارألاً هو الشيخ الشاب المصلح والمربي

أ

والكشاف والمسرحي"محمد بن العابد"، الذي وقع اختياري عليه كموضوع لدراسة، وذلك لإنجاز مذكرة تخرج لنيل شهادة الماسترفي التاريخ المعاصر تحت عنوان (محمد بن العابد السماتي الجلاي وإسهاماته في الحركة الوطنية الجزائرية).

دواعي اختياري للموضوع :

إن اهتمامي بأعلام الإصلاح بمنطقة الزيبان لا يبدأ من هذه الدراسة، بل يتعدى إلى السنوات الماضية من خلال نشاطي في الجمعية الخلدونية لاسيما منها الملتقيات الفكرية والعلمية حول أعلام ورموز منطقة الزيبان ،حين كان الأساتذة والباحثون يلبطون اللثام عن هؤلاء النخبة الذين أفنوا حياتهم من أجل هذا الوطن المفدى وإبراز مناقبهم ودورهم الإصلاحى والريادي في نهضة هذا الشعب، ومنهم " للشيخ محمد العابد السماتي الجلاي " الذي شدني الاهتمام حوله ومن دواعي العلمية أيضا:

- قلة الدراسات حول هذه الشخصية المغمورة.

محاولة مني إمطة اللثام عن بعض الجوانب التاريخية لهذه الشخصية والوقوف على بعض الحقائق الخفية في حياته.

-المحاولة الإسهام في المجهود العلمي التاريخي حول تاريخ الجزائر المعاصروالحركة الوطنية والثورة التحريرية من خلال دراسة هذه الشخصية المخضرمة.

-المساهمة في دعم وإثراء حقل الدراسات العلمية المتخصصة التي تناولت قادة ورجال الحركة الوطنية الإصلاحية والثورة التحريرية بهذه المذكرة المتواضعة.

إشكالية البحث :

تتمحور إشكالية البحث في الوقوف على مدى المساهمة التي قدمها الشيخ "محمد بن العابد السماتي الجلاي" في الحركة الوطنية والثورة التحريرية، و للإجابة عن هذه الإشكالات تدرج جملة من التساؤلات تتمثل في :

- من هو محمد بن العابد السماتي الجلاي؟

ب

- كيف نشأ؟ ما هي البيئة التي ترعرع فيها وتأثر بها؟

- ما هي صفاته؟

- ما هو أثر التحاقه بالجامع الأخضر بقسنطينة؟

- دوره في التعليم العربي.؟

- دوره ونشاطه في الصحافة والتأليف؟

- دوره في الكشافة الإسلامية الجزائرية؟

- نشاطه في المسرح؟

- نشاطه في حزب الشعب الجزائري؟

- التحاقه بالثورة الجزائرية ومساهمته فيها؟

- محنة الاعتقال والسجن؟

- وفاته بعد الاستقلال؟

منهجية الدراسة:

إن طبيعة الموضوع الذي يتناول شخصية إصلاحية تربوية ثورية ساهمت في الحركة الوطنية بمختلف روافدها والثورة التحريرية من أجل استرجاع السيادة الوطنية وتحقيق النصر

والاستقلال، يفرض علينا إتباع منهجين: المنهج التاريخي التحليلي والمنهج التاريخي الوصفي:

-المنهج التاريخي التحليلي:الذي يعتمد على جمع الوثائق والمعلومات التاريخية والشهادات ثم دراستها وتحليلها والتعليق عليها، بعد مقارنتها للخروج بنتيجة تفسر تطور الأحداث المتعلقة بحياة وإسهامات الشيخ"محمد العابد السماتي الجلاي"في الحركة الوطنية والثورة التحريرية بمختلف وسائلها من أجل تهيئة وتربية جيل الثورة لمواجهة المستدمر الفرنسي - المنهج التاريخي الوصفي:اتبعت من خلاله مختلف المراحل التي مرت بها هذه الشخصية ابتداء من بيئته إلى نشأته و تأثره بالفكر الاصلاحى الذي انعكس ايجابا في الحركة الوطنية و الثورة التحريرية.

ت

أهداف البحث:

-إبراز دور"محمد بن العابد السماتي الجلاي"في الحركة الوطنية من خلال نشاطه التربوي التعليمي و الصحفي و الكشفي و المسرحي و السياسي.

-محاولة التعرف على مسارالحركة الوطنية والثورة التحريرية في مختلف المناطق من خلال تتنقل هذه الشخصية.

-التعرف على تاريخ منطقة الزيبان وبيئة الشيخ"محمد بن العابد السماتي الجلاي" ،ودور هذه المنطقة في الحركة الوطنية و الثورة التحريرية.

-محاولة المساهمة من خلال هذه الدراسة العلمية المتواضعة في نشر الوعي الوطني والوقوف على نضال ومواقف أعلام الحركة الوطنية ورموز الثورة التحريرية من أجل استفادة الأجيال القادمة من تاريخ و تراث هذه المنطقة خاصة والجزائر عامة.

-إبراز مناقب هذه الشخصية من مختلف الجوانب لتكون قدوة للشباب والأجيال القادمة. **خطة**

البحث:

قسمت بحثي الذي يمتد من سنة 1980 إلى غاية وفاته 1967 إلى مقدمة و ثلاثة فصول و خاتمة و دعمته بملاحق ، ففي الفصل الأول تناولت فيه التعريف بمنطقة الزيبان

مدلول الزاب و التسمية والتقسيم الجغرافي للمنطقة الزيبان ثم الى الاحتلال الفرنسي لهذه المنطقة وأهم المقاومات الشعبية التي تصدت لهذا الاحتلال، ثم تناولت حياة الشيخ "محمد بن العابد السماتي الجلاي"، وذلك انطلاقا من ذكر مولده و نشأته وتعليمه والعوامل التي ساهمت في صقل شخصيته والتحاقه بجامعة الأخضر بقسنطينة.

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه دور وإسهامات "محمد بن العابد السماتي الجلاي" في الحركة الوطنية من خلال إبراز أهم الأنشطة التي ساهم فيها الشيخ من نشاطه التربوي التعليمي ونشاطه الصحفي من خلال كتاباته في مختلف جرائد الجمعية وإصداره لجريدة "أبو العجائب" ثم نشاطه الكشفي ومشاركته في تفعيل فوج الرجاء ببسكرة إضافة إلى دوره البارز في مجال المسرح و تأليفه لعدة مسرحيات و علاقته بجمعية العلماء

ث

المسلمين الجزائريين، أما الفصل الثالث فتناولت فيه لمحة عن اندلاع الثورة التحريرية الكبرى في القطر الجزائري و التحاق محمد بن العابد بها، ثم تعرضت لاعتقاله و محنته في السجن و محاكمته، ثم تناولت خروجه من السجن عشية الإستقلال، وفي الأخير وفاته.

الصعوبات:

أما عن الصعوبات التي واجتها فتتمثل في عامل الزمن الذي كان في غير صالحه نظرا لضيق الوقت في جمع المادة العلمية وتحرير هذا البحث، إلى جانب قلة المراجع المتخصصة عن حياة الشيخ "محمد بن العابد السماتي الجلاي".

أما عن أهم المصادر والمراجع التي تناولت حياته أهمها التي إعتمدت عليها تأليفه كتاب "تقويم الأخلاق و كتاب" الأناشيد المدرسية لأبناء و بنات المدرسة الجزائرية"، كما استفدت من كتاب أعلام من بسكرة " و كتاب "تاريخ الصحافة و الصحفيين في بسكرة و إقليمها من 1900 إلى 1956" للأستاذ "فوزي مصمودي"، وكتاب "محمد بن العابد حياته و آثاره" "عتيقة سماتي" و كتاب "مهندسو الثورة" "لعيسى كشيدة"، وكتاب "الصحف العربية الجزائرية من 1947 إلى 1954" "لمحمد ناصر"، وكتاب "فنون النثر الأدبي في الجزائر 1937-1954" "لعبد المالك مرتاض" و في مجال المقالات المنشورة إستفدت بإسهاب من مقال تحت عنوان

" محمد العابد الجلاي " العالم المري و الوطني المجاهد " لسليم كرام " .

أما المذكرات العلمية المتخصصة فقد استعنت بمذكرة "نصر الدين مصمودي" المسماة "دور ومواقف العقيد محمد شعباني في الثورة في مطلع الاستقلال 1954-1962" و كذلك مذكرة "لخميسي فريح" المسماة " دور العقيد أحمد بن عبد الرزاق سي الحواس " في الثورة التحريرية 1954 -1959"

ج

وفي الأخير فإن هذه الدراسة هي محاولة لفتح الباب أمام الدارسين والباحثين وهي بداية لأعمال أخرى في إبراز أعلام منطقة الزيبان ومساهماتهم في الحركة الوطنية و الثورة التحريرية .

كما أتقدم بالشكر الموصول إلى كل من قدم لي يد المساعدة في إنجاز هذا البحث المتواضع و خاصة الأستاذ المشرف " لخميسي فريح "، كان يوجهني ويصوبني من بداية البحث إلى نهايته .

ح

الفصل الأول

(محمد بن العابد الجلاي البيئة و النشأة و العلم)

أولا- بيئة (منطقة الزيبان):

* مفهوم منطقة الزيبان :

(أ)-الزاب: لغة يقال زاب الشيء إذا جرى و سال وإذا جمعت قيل زوابي أو زيبان⁽¹⁾
 (ب)-اصطلاحا: و يقال الزاب الأعلى من الموصل و « إربل » الذي ينبع من عين في رأس الجبل ينحدر إلي وادي و يجري في جبال وأودية، ثم يمتد حتى يفيض في دجلة و هذا هو المسمي بالزاب، وهما الزاب الصغير والزاب الكبير، ونعني به أيضا سلسلة جبال في الجزائرالأطلس الصحراوي بين جبال أولاد نايل والأوراس، وهو مجاز هام بين منخفض الحضنة في الشمال والصحراء في الجنوب، و به واحات خصبة و مزارع نخيل أهمها بسكرة . و يصفه ابن خلدون ((بأنه و طن كبير و به قرى عديدة متجاورة يصل عددها إلي مائة قرية حيث كل واحدة منها يطلق عليها زاب))⁽²⁾.

و يأخذ الزاب تسميته من مدينة زابي (zabi) الرومانية القديمة التي كانت تقع في منطقة الحضنة، غير أن اسم الزاب في القديم كان يطلق بتوسع، إذ يشمل سهول الحضنة و مدنها الواقعة عند السفوح الجنوبية للأطلس المتمثلة في مقرة، و طبنة ، أما الآن فتطلق على امتداد غير فسيح عن سفوح الجبال الفاصلة بين سهول الحضنة و الصحراء⁽³⁾ .

كما أن هذا الزاب يقسم اليوم إلى زابين ،الزاب الغربي، والزاب الشرقي، و الزاب الغربي يقسم بدوره إلى شطرين ، الزاب الظهر اوي و الزاب القبلي .

- (1) المنجد في اللغة و الأعلام ط ، دار الشرق بيروت ، لبنان 2004 ، ص: 276 .
- (2) عبد الرحمان بن خلدون :كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: دار التراث العربي لبيروت، لبنان،1971، ج2 ص: 912 – 913.
- (3) إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983 ص:142

الفصل الأول: محمد بن العابد الجليلي البيئة و النشأة و العلم

الزاب الظهر اوي: يشمل بلدات العامري، برج بن عزوز، طولقة، فوغالة ، ليشانة فرفار، بوشقرون، لغروس الدوسن إلى غاية أولاد جلال وسيدي خالد وما جاورها رغم أن العلامة البشير الأبراهيمي رد على دائرة المعارف الإسلامية وأعتبر الدوسن وأولاد جلال خارجين عن الزاب وتقعان غربيه ، مخالفًا بذلك ابن خلدون الذي يؤكد على زابية الدوسن في قوله " و سلكننا القفر إلى الدوسن من أطراف الزاب ."

الزاب القبلي: يضم بلدات أورلال ، ليوة ، الصحيرة ، بنطيوس ، مخادمة ، مليلي أوماش بيقو مناهلة، زاوية بن واعر.... .

الزاب الشرقي: يقع شرق مدينة بسكرة عاصمة الزاب ، و يضم سيدي عقبة ، تهودة ، عين الناقة، الذيبية ، سيدي خليل، شتمة ، الدروع ، الفيض، خنفة سيدي ناجي، زريبة الوادي بادس، قصر، ليانة، سريانة ، قرطة وغيرها... وجميعها تقع في إقليم ولاية بسكرة . (1)

أما بسكرة قاعدة الزاب أو عاصمة الزيبان ، و التي تقع على خط طول 42° و 5 دقائق شرقي غرينتش، وخط عرض 27° و 3 شمالا، و التي يصفها الراحلة البكري (2) قائلا: ((هي

مدينة كبيرة كثيرة النخيل و الزيتون و أصناف الثمار، و هي مدينة مسورة عليها خندق و بها جامع و مساجد كثيرة و حمامات و حوايلها بساتين كثيرة)) (3) .

(1) فوزي مصمودي ، بسكرة بعيون عربية ، دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع ، عين مليلة ، الجزائر، 2011 ، ص 238- 239 .

(2) أبو عبد الله بن عبد العزيز بن أيوم البكري أديب و رحالة و جغرافي عربي شهير ولد حوالي 405 هـ 1040م بمدينة شلطين غرب الأندلس ، و قد عرف بالولع الشديد للمطالعة و البحث عن الكتب النادرة و خاصة الكتب الراحالة و الجغرافيين، توفي عام 487 هـ 1094 من مؤلفاته ، كتاب معجم ما أستعجم ، المسالك و الممالك ...

(3) اسماعيل العربي ، المدن المغربية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص: 182- 183 .

08

الفصل الأول: محمد بن العابد الجلاي البيئية و النشأة و العلم

ثانيا : منطقة الزيبان و الاحتلال الفرنسي :

أهم ما ميز منطقة الزيبان منذ ان تمكن الفرنسيون من احتلال مدينة الجزائر في صيف 1830 م و عقب سقوط مدينة قسنطينة 1837 م. سلسلة تلك الثورات التي عبرت عن شدة مقاومة سكان هذه المنطقة و رفضهم للاحتلال طوال فترة امتدت حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، جسدها في البداية ظهور قيادتين شبه رسمية مباشرة مثلا قيادتها كل من «الحاج أحمد باي» و خلفاء الأمير «بن عزوز» و «فرحات بن سعيد» و «محمد الصغير بن أحمد بلحاج».

وفي 4 مارس عام 1844م تمكنت القوات الاستعمارية بقيادة «الدوق دومال» (duc doumal) ابن الملك الفرنسي من دخول مدينة بسكرة و شيد بها حصنا (1)، و من أهم المعارك و الانتفاضات التي شهدتها المنطقة

1- معركة مشونش 1844:

بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة بسكرة في 04 ماس 1844 بدأوا في تحضير قواتهم لمواصلة الاحتلال قاصدين بذلك واحة مشونش، و لما بلغ هذا الخبر الشيخ الصادق بلحاج

بادر بإرسال ابنه ابراهيم على رأس المقاومين لمشاركة سكان الواحة، و قد شارك في هذه المعركة الشيخ محمد الصغير بن أحمد بن الحاج خليفة الأمير عبد القادرالذي استقر بمشونش بعدما انسحب من بسكرة ،و قد استمرت المعركة يوما كاملا انهزم خلالها العدو الفرنسي وتراجع إلى مركزه ببسكرة. (2)

(1) لخميسي فريخ، العقيد سي الحواس مسيرة القائد الولاية السادسة 1923،1959 م مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر، تخصص المقاومة و الثورة التحريرية، جامعة الجزائر، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية قسم التاريخ السنة الجامعية 2010/2009 م،ص:39

(2) فوزي مصمودي ،عبد الحليم صيد، أبحاث في تاريخ الزيبان بسكرة، مقال المقاومة ط1 مطبعة سوف، الوادي، الجزائر، 2000، ص:53

09

محمد بن العابد الجلاي البيئة و النشأة و العلم الفصل الأول:

و قد اعترف العدو بشراسة المعركة و صمود المجاهدين و صعوبة اقتحام صفوفهم القتالية، و فرح السكان بانتصار المقاومين على العدو في معركة مشونش و قتل ضابط و عدد من الجنود الفرنسيين، كما قتلوا عند هجومهم على مركز باتتة 61 جنديا فرنسيا كانوا متواجدين به ليلجا بعدها الخليفة محمد الصغير إلى بلاد الجريد مؤقتا إلى غاية سنة 1845. (1)

2- انتفاضة أهالي أولاد جلال جانفي 1847:

إن معركة أولاد جلال، التي وقعت في جانفي 1847 تعد ملحمة كبرى خالدة سجلها الشعب الجزائري طوال فترات المقاومة الشعبية ضد القوات الفرنسية .

عندما ظهر الشريف بومعزة وضافت به السبل في نواحي الجبال ،قرر اللجوء الى أولاد نايل بواسطة شيخ زاوية أولاد جلال الشيخ المختار بن عبد الرحمان الذي استقبله استقبال المجاهد الثائر،مما جعل سكان أولاد جلال وأهل المنطقة يبتهجون بوجود المجاهد بومعزة و ينتفضون في وجه الاحتلال .

بعد أن كانت السلطات الفرنسية تعتقد انها طوعت المنطقة بصفة نهائية بعد احتلال بسكرة 1844م، و ما ان علمت سلطات الاحتلال بوجود الشريف بومعزة في أولاد جلال حتى سارعت إلى إرسال القايد محمد الصغير بن قانة قايد بسكرة إلى المنطقة لتهدئة السكان و تقصي الحقائق.

(1) ابو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1992 ج1 ص:284

الفصل الأول: محمد بن العابد الجلاي البيئة و النشأة و العلم

وتفاديا لتفاقم الوضع وجعل حد لبذورانتفاضة حقيقية في منطقة غرب الزاب، قد تمتد إلى مناطق أخرى سارع الجنرال بيدو (Baud) إلى الاستنجاد بالجنرال «هربيون» (Herbillon) المتواجد بباتنة، و في الخامس من جانفي عام 1847 غادر الجنرال «هربيون» باتنة نحو أولاد جلال عبر لوطاية وطولقة دون أن يمر ببسكرة ربحا للوقت واختصار المسافة و بعد مسيرة ستة أيام وصل الجنرال (هربيون) إلى أولاد جلال.⁽¹⁾

لكنه وجد أن الشريف بومعزة قد غادرها ليعسكر في وادي التل، وكانت معه بعض الفرق من أعراش أولاد زيد أولاد نايل الشراقة أولاد ساسي لأن هدف الشريف هو إدخال المنطقة في تمرد ضد العدو الفرنسي وفي هذه الأثناء ظهرت شعبة معارضة للشيخ المختار خوفا من الانتقام الفرنسي على غرار المناطق الأخرى من الزاب رغم أن هذه المنطقة تمثل القاعدة الخلفية لفرحات بن سعيد خليفة الأمير عبد القادر عندما كانت تضيق عليه الأمور في المنطقة.

و حسب قول (سيروكا) ⁽²⁾ (SéroKa) فقد حاصر بعض الأشخاص الشيخ المختار في الزاوية ومنعوه من التحرك تعبيرا عن احتجاجهم على موقفه، و كادت الأحداث أن تتطور بين المؤيد للشيخ من أعيان البلدة و هم الأغلبية الساحقة و بين بعض المعارضين له، لولا

الوساطة التي قام بها شيخ زاوية سيدي خالد و سيدي محمد بن عزوز، و كان المتحمسون للجهاد من سكان أولاد جلال قد حملوا السلاح، و تمركزوا في ساحات القتال حول المدينة. و كانت النساء تلقى زغاريد التشجيع على الجهاد في الاحياء المجاورة لرحبة أولاد جلال.

(1) محمد العربي حرز الله، منطقة الزاب مائة عام من مقاومة 1830-1930 ، دار السبيل للنشر و التوزيع، بن عكنون،

الجزائر، 2008 ص ص: 218-219

(2) سيروكا: عسكري و رئيس مكتب العرب بسكرة واحد كتاب تاريخ الجزائر على النضرة الفرنسية و ممن عايشوا الأحداث و كتاباته في المجلة الإفريقية .

11

الفصل الأول: محمد بن العابد الجلاي البيئة و النشأة و العلم

غير بعيد عن الواحة التي تحصن فيها المجاهدون، كما تحصن بعضهم على سطوح المنازل، و ما إن وصل الجنرال (هرييون)، حتى وجد أن اهله على أتم الاستعداد للمواجهة بعد ان تمركز معظم المقاتلين في الجهة الغربية الجنوبية للمدينة، و كان عدد سكان أولاد جلال حسب (سيروكا) 3600 نسمة (1) .

عسكر جيش الجنرال (هرييون) في الضفة الجنوبية لوادي الجدي على الربوة المقابلة للمدينة (موقع المقبرة حاليا) بحيث لم يفصله على الرحبة إلا مجرى الوادي.

شرع الجنرال هرييون في مفاوضات قصيرة مع سكان أولاد جلال، و كانت الشروط المسبقة المتمثلة في:

-التخلي عن المقاومة

-تسليم الشيخ المختار

-دفع غرامة مالية (خطيئة) و ذلك مقابل العفو التام و إعطاء الأمان للسكان.

لكن أهالي أولاد جلال رفضوا ذلك جملة و تفصيلا، و تبين للجنرال أنهم عازمون على

القتال، و أن استعمال القوة هو وحده الذي سيخضعهم.

بدأ الهجوم الفرنسي بقصف مدفعي إتجاه مؤذنة المسجد العتيق و كان القصد منه إظهار قوة السلاح الفرنسي المدمر لتخويف السكان.

لكن هذا التصرف الذي استهدف رمزا دينيا زاد من حماس المقاتلين ودفع المعارضين من السكان إلى الانضمام للمقاومة، مما زاد في حماس المتحصنين الذي ردوا على الجيش الفرنسي بطلقات بنادقهم، و رغم قدم الأسلحة و قتلها فإن النيران كانت مكثفة و بوتيرة لم يكن العدو ينتظرها ولا خطته تتوقعها. (2)

(1) محمد العربي حرز الله-مرجع نفسه ص ص 225-226-227

(2) نفسه ص: 228

الفصل الأول: محمد بن العابد الجلاي البيبة و النشأة و العلم

بعد المواجهة الأولى إشتد وطيس المعركة بين الطرفين عندما تقدم المساء دون أن يتراجع المجاهدون، مما ثبط من عزائم الجنود الفرنسيين الذين لم يكونوا يتوقعون مواجهة بذلك الحجم، بعد فشل الهجوم الأول حاول الجنرال «هرييون» تغيير الخطة السابقة معتمدا على خطة جديدة تستهدف المقاتلين المتحصنين فوق سطوح المنازل عن أولئك المختبئين داخل واحة النخيل الكثيفة لتسهل عليه مهاجمتهم، و لتحقيق هذا الهدف تقدم الضباط و الجنود الفرنسيون بدون غطاء للوصول إلى جدران المنازل بعد أن زحفوا عبر الوادي غيرأن ذلك الإقدام الجريء كلفهم مقتل أحد الضباط السامين(الرائد بيون) commandant (Billon)⁽¹⁾، وهي خسارة كبيرة لم تكن في حسابان الجنرال المغرور (هرييون).

و بعد الفشل الذي مني به الجنرال لخطته الثانية، أدرك أن فقدان ضابط كبير سيزيد في نشوة النصر لدى المقاومين العرب، وربما سيدفعهم ذلك إلى توسيع دائرة المقاومة لتشمل

المنطقة كلها ، و خوفا من تفاقم الوضع قرر «هربيون» استعمال طريقة الردع القسوى أي استعمال أقصى ما يملك من إمكانيات لقهر المقاومين قبل أن يسدل الظلام ستاره على الواحة، أعطى الجنرال أوامره بالهجوم الثالث يوم 11 جانفي 1847 بعد ان صمد المجاهدون اليوم كله، وما إن جاء يوم الفجر الموالي حتى حسمت القوات الفرنسية المتفوقة عدة وعددا المعركة لصالحها، لكن بعد أن تكبدت خسائر فادحة لم تكن تتوقعها-30قتيلا من بينهم ضابط كبير-110 جريحا، مات الكثير منهم حسب سيروكا-24 أسير من الجنود الفرنسي، مقابل ما سقط من الشهداء:62 شهيد-90 جريحا مات بعضهم.

(1)محمد العربي حرز الله،مرجع سابق ، ص:228

- و انتهت المعركة وفق الاتفاقيات التالية و تتضمن أربعة شروط:
- تسليم جثث القتلى من الفرنسيين
 - تسليم أسلحة وأثاث القتلى كاملا غير منقوص
 - تسليم الأسرى 24 دون قيد او شرط
 - دفع غرامة مالية كبيرة 50000 فرنك و ذلك مقابل:
 - انسحاب الجيش الفرنسي من المدينة
 - إخلاء سبيل الشيخ المختار (الذي فر الى الجلفة بعد فك الحصار)
 - اعطاء الأمان لباقي المقاومين و لمن ساعدهم من السكان بعدم متابعتهم

بعد حصول الاتفاق و تنفيذ بنوده حاول الجنرال هربيون ملاحقة الشريف بو معزة فتوجه بجيشه صوب وادي التل، لكن عندما وصل الى عقلة المنقوب تبين له ان الشيخ بومعزة غادر المنطقة على جناح السرعة متوجها إلى منطقة الأصنام(الشلف) عبر وادي الجدي أما سكان أولاد جلال فقد شرعوا في اليوم الموالي للمعركة في دفن شهدائهم و قد اتفقوا على أن يكون الدفن على حسب المكان و الوضعية التي سقط فيها كل شهيد، مما يفسر انتشار القبور على مساحة واسعة و تبعثرها، و منذ ذلك الوقت اتخذ سكان أولاد جلال اسم حارة القبور على الساحة التي وقعت فيها المعركة البطولية ،كما سماوا الشارع المؤدي اليها بشارع القبور (1)

(1) محمد العربي حرز الله، مرجع سابق ، ص ص: 231-232

محمد بن العابد الجلاي البيئة و النشأة و العلم الفصل الأول:

3- معركة سريانة سبتمبر 1849:

عندما أراد الشيخ بوزيان إعلان الثورة على الفرنسيين بواحة الزعاطشة كتب رسائل إلى الزعماء الدينيين ليشاركوه في الكفاح، فكان ممن استجاب له، الشيخ عبد الحفيظ الخنقى شيخ الزاوية الرحمانية بخنقه سيدي ناجي فاستقر الأعراش المجاورة له مثل أولاد عبدي وبني بو سليمان وبني أوجانة ،وفي سبتمبر 1849 اتجه بجيشه واستقر بوادي براز بالقرب من واحة سريانة (دائرة سيدي عقبة)، وانطلق من بسكرة جيش فرنسي بقيادة الرائد(سان جرمان)، فالتحم الجيشان في قتال شديد أدى الى انهزام المجاهدين بقيادة الشيخ عبد الحفيظ الخنقى (1) لأن ميزان القوة لم يكن متكافئاً من حيث العدد و العدة، مما دفع بالقائد عبد الحفيظ و جيشه الى التراجع، و قد أحدثوا في صفوف العدو الخسائر الجسام بعد سقوط قائدهم(الرائد سان جرمان)(2)، رجع الشيخ عبد الحفيظ مع من بقى من جنوده إلى بلدة الخنقة، و مهما

قيل عن هذه المعركة فيكفي أتباع الشيخ فخرا أنهم أكدوا للفرنسيين استمرارية الثورة وأن الشيخ بوزيان ليس وحده في ميدان الدفاع عن الوطن.

4- ثورة الزعاطشة نوفمبر 1848:

اندلعت شرارة ثورة جديدة في واحة الزعاطشة و بالضبط بالزاب الظهر اوي خريف 1848 وهي الثورة التي استطاع فيها القائد الشيخ "أحمد بو زيان" الذي كان من موظفي الأمير "عبد القادر" بمرتبة شيخ إثارة العدد من سكان الأوراس و الزيبان و الحضنة بفضل دعوته لزعمائها من رجال الطرق الصوفية لنصرة سكان الواحة، منهم الشيخ "عبد الحفيظ الخنقي" (الخنقة) والشيخ "بن شبيرة" (بوسعادة) والشيخ "المختار" (أولاد جلال) و الشيخ "الصادق بالحاج" (سيدي مصمودي بالأوراس و غيرهم). (3)

(1) فوزي مصمودي، عبد الحليم صيد، مرجع سابق، ص: 56

(2) محمود الواعي، تاريخ الاوراس و نظام التركيبة الاجتماعية و الادارية في اثناء فترة الاحتلال الفرنسي 1837-

1954، دار الشهاب، باتنة الجزائر، ص: 162

(3) ابو القاسم سعد الله الحركة الوطنية، مرجع سابق ج1، ص: 331

الفصل الأول: محمد بن العابد الجلاي البينة و النشأة و العلم

مما جعلها من بين أعنف المعارك التي خاضها الفرنسيون في الجزائر لما كلفتهم من خسائر بشرية حوالي 1000 رجل، من بين قتيل و جريح ،و كان في مقدمة هؤلاء القتلى الرائد "سان جرمان" في وادي براز سريانة كما أشرنا سابقا، الأمر الذي دفعهم لارتكاب أبشع الجرائم في حق سكانها باعتراف الجنرال "هربيون" (Herbillon) قائد القوات نفسه عندما أقر قائلا «أخذت الزعاطشة عنوة يوم 26 نوفمبر على الساعة الثامنة بعد أن قاتل "بوزيان" و "الشريف سي بو حماد" (1) رفقة 7 إلى 8 آلاف رجل دون هوادة و لم ينج منهم واحد بعدها قطعنا 7000 نخلة في الزعاطشة و 3000 في ليشانة ودمرنا الواحة عن آخرها» (2).

5- ثورة الشيخ الصادق بلحاج 1858 :

أعلن "سي الصادق بلحاج" شيخ زاوية سيدي مصمودي فرع الطريقة الرحمانية بجبل أمخرخو ،الجهاد ضد الفرنسيين نتيجة القرارات الجائرة التي أصدرها الفرنسيون و منها

إجبار الأطفال المسلمين بالالتحاق بالمدارس (الفرنسية-العربية) في بسكرة و تشديد الرقابة على زيارة الزوايا، إن حركة الشيخ "الصادق بلحاج" التي استمرت إلى جانفي 1859 قد شملت سكان جبل أحمرخدو و "بني سليمان" وسيدي عقبة ومشونش، شهدت معارك و مناوشات مع العدو لم يوقفها سوى تلك القوات الضخمة التي جاء بها الجنرال «ديفو» (Dexuavs) إلى المنطقة المدعمة بقوم «ابن شنوف» التي تمكنت في 19 من الشهر من أسر الشيخ رفقة حوالي مائة من عائلته و أتباعه، ليتم سجنه بعد محاكمته بسجن الحراش، أين توفي سنة 1862. (3)

- (1) هو الشيخ "موسى الدرقاوي" الذي شارك في هذه الثورة رفقة الشيخ "بوزيان" و قطعت راسه بعد استشهاده، مثل رأس وزيان و ابنه و هي الرؤوس الثلاث التي علقت فوق الابراج، و هي محنطة بقسم الانثروبولوجي بمتحف اللوفر بباريس
- (2) عبدالحميد زوز، الاوراس ابان فترة الاستعمار الفرنسي 1837-1939، تر: مسعود حاج مسعود، دار هومة، الجزائر، 2005 ج1، ص: 145
- (3) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص: 365

الفصل الأول: محمد بن العابد الجلاي البيئة و النشأة و العلم

6- ثورة العامري 1876:

بعد عام من تنفيذ حكم الاعدام على الثائر بوشوشة انتفض في ربيع 1876 «عرش لبازيد» الذي يمثل سكان واحة العامري، و انضموا جموع المقاومين من أهل الزاب والأوراس، الذي تصدى لها العدو بقيادة الجنرال «كارترى» (Cteretrac) الذي سخرت له وسائل الردع، و في مقدمتها المدفعية للقضاء على الثورة التي وأن كانت لم تدم سوى أسبوعين من 14 افريل الى غاية 28 منه، الا أنها كلفت القوات الفرنسية جرح 3 ضباط و قتل 27 جندي فرنسي و 4 جنود من القومية و جرح 4 آخرين منهم، بينما خسر فيها سكان الواحة حوالي 400 قتيلًا يتقدمهم زعيم الثورة المرابط «محمد بن يحيى»، و اعتقال الزعيم الثاني لها «بن عيش» إلى جانب ما كلف قبيلة «لبازيد» من مصادرة أراضي و غرامة حرب و تشريد و نفي جماعي (1).

(1) مصطفى حداد «انتفاضة لبازيد من سكان واحة العامري والمناطق المجاورة سنة 1876، م الجزائر، السنة الرابعة عشر، ع81 شعبان، رمضان 1404 هـ/مايو، يونيو 1984 م، ص: 211.

الفصل الأول: محمد بن العابد الجلاي البينة و النشأة و العلم

ثالثا: المولد والنشأة

حياة ونشأة محمد بن العابد الجلاي

(أ): أصله و مولده:

هو محمد بن العابد بن عبد الله بن السائح بني سيدي يوسف بن اسماتي، و أمه السيدة لالة خديجة بنت محمد بن الزروق بن الشيخ اسماتي المعروف في الوسط التربوي والنضالي (المحلي والوطني) بمحمد بن العابد الجلاي، ولد سنة 1890م الموافق 1308هـ ببلدة أولادجلال التي تبعد عن مقر (ولاية بسكرة حاليا 100 كلم)⁽¹⁾. وهو من أسرة محافظة لها أصول و جذور في الثقافة و الفكر.

(ب): نشأته و دراسته:

في هذا الوسط العائلي المتشبع بالقيم الأخلاقية و في أسرة محافظة و متدينة نشأ و ترعرر في كنفها، فقد تعلم القرآن على يد والده الشيخ العابد السماتي، و قد كان إماما و شاعرا وكاتب بلدة أولاد جلال، كما له إطلاع واسع على علوم الدين و أحكام الشريعة و قد كان متطوعا للإمامة و رفض اقتراح السلطات الفرنسية عليه بترسيمه في منصبه بالوظيفة التي يشغلها، ولذلك كان منتقلا بين مساجد و زوايا البلدة إضافة إلى زاوية الهامل ببوسعادة و جامع أورلال⁽²⁾.

(1) فوزي مصمودي. اعلام من بسكرة، ج1 مطبعة الصقر، اصدار الجمعية الخلدونية بسكرة، الجزائر، 2001 ص:74.

(2) عتيقة سماتي، محمد العابد السماتي حياته و آثاره، دار السبيل للنشر و التوزيع، الجزائر، 2010، ص: 10 .

تلقى محمد بن العابد علوم الفقه و النحو و الحديث و علم الكلام على يد الشيخ عبد الحفيظ بن سي الشريف اسماتي بجامع مقام بالحاج آل سماتي و المشهور بالصحن و يذكر أنه تأسس في القرن الخامس عشر الميلادي، و قد تتلمذ أيضا في دروس أصول البلاغة و الأدب على يد مصطفى مبروكي صديق والده، كما أرسله إلى أخواله من الرضاع ببادية أولاد جلال يبحث عندهم اللغة النقية الصحيحة و الفكر العميق.

و قد التقى بالشاعر عاشور الخنقي واستفاد منه مدة ليست بالطويلة، حاول محمد العابد التنقل إلى المشرق العربي، إلا أن ظروف الحرب العالمية الأولى حالت دون خروجه من الجزائر، بعد ان صنعت السلطات الفرنسية الجزائريين من مغادرة أرض البلاد فعاد، إلى بلدية أولاد جلال ليساعد والده في تنشئة الجيل و تدريس القراءان الكريم للأطفال و بعد فترة غير طويلة من استقراره في هذه المهمة النبيلة إلى ان سمع اسم العلامة الشيخ عبد الحميد

ابن باديس (رائد النهضة الاصلاحية الجزائرية) الجبارة في الاصلاح و أصبحت أخباره لدى العامة والأئمة والعلماء فاستهواه التقرب منه و الاستزادة من علمه و أفكاره الإصلاحية فاستشار و الده بالرحيل إلي قسنطينة ، فلم يستطيع الوالد منعه ، و لم يجبه إلى مطلبه و سكت عنه غير أن أمه و خوفا من غربة ابنها.(1)

و بعده عنها - دفعه إلي الزواج من ابنة عمه السيدة أم الخير التي انجبت له الابنة الوحيدة (زينب) ،الا ان عزم محمد العبد لم يثته أمر الزواج فقد لا حت رغبته وعقد عزمه في تحقيق هذا الهدف .

(1) وحسب عتيقة سماتي خوف الأم من ان يفتح سفر محمد الباب لإخوته في بعدهم عن الدار و تفرقه ، و ما تخوفت منه الام قد تحقق، و كانها كانت تنتظر بنظرة المؤمن ، فقد هاجرعه بفترة وجيزة أخوه عبد الباقي الى فرنسا ، ثم لاحقه أخوه عبد الرحمان و احمد و لم يعودوا ،و لم يعرف عن امرهم غير ما سمته الاسرة من امر احمد الذي يقال انه انضم الي القوات الالمانية معاداة لفرنسا و مات اثناء قيامه بمهمة صحفية خلال الحرب العالمية الثانية اما الجليلي فهاجر الي فرنسا غير انه عادا الي ارض الوطن و هو يعيش في اولاد جلال حاليا .

رابعا: شخصيته :

حسب رواية عتيقة سماتي أثناء لقاءها مع أخيه زكريا بأولاد جلال، حيث عن شخصية أخيه محمد بن العابد فقال « لقد كان أخي وقورا متهيبا متدينا و كان له سمت العلماء وملاح مهابتهم، ولكنه مع ذلك -كان يميل إلى الدعابة المستملحة والفكاهة المروحة على الا يخرجها عن مخارج الجد .»

فقد كان يرى أن إرسال المرح أو تقبله خروجا بالحياة عن أعبائها و أثقالها ، فإنها تهون إذا كانت ثقيلة بالجد، والتزمت ،ويرى الحياة ترخص إذا كانت مهينة بالمزاح الدائم.... فقد كان يهش لسماع الفكاهة ويرسلها لأنه يراها ترويحاً عن النفس، و أنها تحيل عبوس الدنيا إلى ابتسامة شائقة، غير أن فكاهة أخي ومزاحه هي فكاهة الطبع لا فكاهة التكلف،

وكان يردد على مسامعنا في ليالي سمرنا و أثناء تحدثنا هذين البيتين للشاعر أبي الفتح البسي :

- أف طبعك المكدود بالجد راحة يجم و علله بشئ من المرح

- و لكن إذا أعطيته المرح ، فليكن بمقدار ما تعطي الطعام من الملح

كما كان محمد بن العابد معلما و سياسيا مثابرا،و كان أبي النفس عالي الهمة عزوفا عن الدنيا يمقت التمظهر، لطيف المعشر بين إخوانه متواضعا في كل أحواله يدعو إلى الإسلام ، إسلام الحرية و العقيدة و السلوك و القيم الأخلاقية و المبادئ الفاضلة.

الفصل الأول: محمد بن العابد الجلاي البيئة و النشأة و العلم

فكان متقشفا في معاشه قانعا من دنياه بالقليل، و كل ما يهيمه في دنياه هو أن يرى و طنه حر مستقلا ،و قد حقق الله له هذه الأمنية قبل أن يرحل، و في هذا الصدد قال فيه صديقه وزميله الاستاذ محمد الصالح رمضان ⁽¹⁾ «روض نفسه على التقشف الخلقي و محاسنها ،كل أنواع الأثرة وحب الذات و منع نفسه بما تحب كما يفعل الناس،وارتفع في تفكيره وأخلاقه وأعماله إلى المستوى البطولي الرائع الذي لا يبلغه إلا عظماء الرجال الذين يسمون بأرواحهم إلى أعلى منزلة ، فيبلغون الدرجات القصوى من التعفف و التقشف و يغدون أمثلة عالية في التضحية و الاستماتة و نكران الذات و هو من الجانب أشبه تلاميذ ابن باديس في زهده و عدم اعتباره لحطام الدنيا»⁽²⁾.

(1) محمد الصالح رمضان من مواليد 1913/10/24 بالقنطرة ولاية بسكرة حفظ القرآن الكريم و أخذ مبادئ اللغة تتلمذ على يد الإمام ابن باديس الذي عينه سنة 1937 معلما في مدرسة التربية و التعليم الاسلامي رفقة مجموعة من أصدقائه من بينهم صديقه ورفيق دربه الشيخ محمد العابد الجلاي ، له عدة مؤلفات منه ، ألحان الفتوة (شعر 1953) الخنساء (رواية 1986) ، مغامرات كليب (قصص 1986) و عدة مقالات خاصة في مجلة الثقافة ، حضي بتكريم كبير أقامته الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات التاريخية لولاية بسكرة يوم 27 أفريل 2006 بقاعة الفكر و الأدب ، توفي رحمه الله يوم 2008/07 .

(2) عتيقة سماتي مرجع سابق ص:72

خامسا: التحاقه بجامع الاخضر بقسنطينة :

شد الرحال إلى مجالس العلم في أرض ومهد الحضارة قسنطينة عام 1920، ومن وهلته الأولى انبهر محمد العابد بمدينة قسنطينة، و شدته معالمها التاريخية و الحضارية تعرف على بعض طلبة الشيخ و رافقهم ليحضر أول درس من دروس العلامة ابن باديس فاعتراه نوع من الرهبة و هو يرى ما على و جوه الطلبة من جد و اجتهاد و يتابع كل كلمة يتلفظها الشيخ ، فأدرك محدودية أفقه و ما يملكه من زاد معرفي ، فهو يستمع إلى طرح جديد حول موضوع كان يحسبه من الأطروحات المفصول في أمرها و لم يعتقد أنها من قضايا الجدل و النقاش أنه موضوع (القضاء و القدر) و كيف أسهب الإمام في آراء العلماء

مبيناً نقاط الجدل و الخلاف بينهما ،و قد رسخ في ذهن محمد العابد الطالب الجديد أن هذا الأمر مقضي دليلاً استناداً إلى الزاد الفكري الذي خرج يحمله من بلدته فانبهر بطرح جديد،و تلاحقت الأفكار والمعلومات على ذهنه،وكانه يسمع الموضوع لأول مرة، وأخذت المحاضرة حيزاً هاماً من انشغاله ذلك اليوم،ولفت إلى ذهنه الأسماء التي خرجت على لسان العلامة عبد الحميد وهو يسمعها أول مرة(جمال الدين الأفغاني و محمد عبده ، و جريدة العروة الوثقى)،و انفتح أمامه باب آخر من المعرفة و العلم ،و تيقن أنه و جد الطريق الصحيح الذي ظل يبحث عنه، فلزم مجلس الشيخ في كل دروسه ، و انتبه إليه الشيخ لما لمس فيه من إرادة الطالب في التعلم، فزوده بكل ما من شأنه أن ينور عقله و ينمي لديه الإحساس بمسؤولية العلم،فانتدبه معه،وعندما تأسست مدرسة التربية و التعليم الإسلامية الحرة بقسنطينة عام 1930 اختاره أن يكون من طاقمها التدريسي.(1)

(1)سليم كرام،((محمد بن العابد الجلاي العالم المربي والوطني المجاهد))،من أعلام الولاية السادسة التاريخية بمنطقة الزيبان، إصدار الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات التاريخية لولاية بسكرة،الجزائر، 2013. ص ص:193-194.

(محمد بن العابد الجلاي و الحركة الوطنية)

الفصل الثاني : محمد بن العابد الجلاي و الحركة الوطنية

أولاً: نشاطه التربوي التعليمي

أ-تدرسه

بدأت مسيرة بن العابد التربوية سنة 1925 عندما بعثه بن باديس إلى بلدة العلمة (ولاية سطيف حالياً) للتدريس بمدرستها الحرة ، إلا أنه لم يطل به المقام بها رافضاً التواجد في مدرسة يعمل بها موظفون يعملون في وظائف حكومية فرنسية، ورأى أن هذا الأمر فيه انعدام الوطنية عند هؤلاء الموظفين، فأخبر أستاذه بعدم رضاه في منصبه الموكل إليه ،فاستقدمه ابن باديسقبل نهاية السنة الدراسية، وأسند إليه تدريس المرحلة الابتدائية في قسنطينة⁽¹⁾، ونجحفي مهمته مجاحاً باهراً،لأن هناك من يعتقد أن تعليم الصغار هو حط من القيمة ،وكاعتراف بهذا الانجاز لقبه

ابن باديس (بالمعلم المثالي) ،وقال عنه الابراهيمى(وله في تربية الصغار و تحبيب العلم إلى نفوسهم طرائق نفسية هو فيها نسيج وحده) ، فكان ينطلق من خطة علمية تقوم على عنصرين أساسين هما الطفل والقيم وأول هذه القيم وأول هذه القيم "الجزائر والاسلام" فأخلاصه و نبل هدفه و حبه لوطنه أدى به الى الاطلاع على التجارب الإنسانية في الميدان التربوي و النفسي، كإعتماد الوسائل المغربية للفهم و تحريك المشاعر لجذب الأطفال و تحبيبهم في هذه القيم و نبذه لكل وسائل معاصريه من المعلمين الجزائرية، فلم يذكر أنه عاقب تلميذا أو زجر صاحب حق ،بل التلاميذ أنفسهم يفرحون حينما يجدون الشيخ هو أستاذهم في الفصل و يهنتون بعضهم البعض لأنه يبحث دوما عما هو قريب من ميولاتهم،و أكثر من هذا عندما يقعون في مأزق مع غيره من المعلمين يلجئون إليه ليساعدهم فلا يتردد بل يبادر إلى المساعدة(2).

(1)مدرسة التربية والتعليم الحرة بقسنطينة أسسها العلامة الشيخ عبد الحميد ابن باديس سنة 1925 و بدأت التدريس سنة 1930 و كان محمد بن العابد الجلاي من طاقمها التدريسي

(2)سليم كرام ،محمد بن العابد الجلاي المربي و الوطني و المجاهد ، مرجع سابق، ص ص :194-195

الفصل الثاني : محمد بن العابد الجلاي و الحركة الوطنية

وامتد تعليمه للأطفال لأنه يهتم بموسيقى و ألحان الأناشيد و يقف على ذلك بنفسه أحد الملحنين بقسنطينة، و في ذلك محاربة لكل ما يسيء إلى رموز الوطن ويحافظ على تكوين رجال الغد ، وقد امتدت سنوات خدمته بمدرسة التربية والتعليم الإسلامية الحرة حوالي 13 سنة من (1930 إلى 1943)،ويذكر صاحب مذكرات شاهد للقرن "مالك بن نبي" أثناء دراسته على يد "محمد بن العابد" بمعهد بن باديس بقسنطينة قائلاً:(لولا دروس الشيخ مولود بن موهوب في التوحيد و سيرة النبي و تلك التي للشيخ "بن العابد" في الفقه فقد كانت هذه مذكرا قويا يعود بروحي إلى الطرق الصحيح)(1)

أرسله الشيخ ابن باديس إلى مدرسة العلمة وكان أول تعيين له، وعند وصوله استقبله سكان البلدة بحفاوة كبيرة، لكن إقامته لم تدم طويلا لأن السلطات الاستعمارية الفرنسية ذاقت ذرعا بالمدرسة و بمعلمها ، فعمدت إلى غلقها و عاد محمد بن العابد إلى قسنطينة لمباشرة مهامه التعليمية إلى جانب مبارك الملي و الفضيل الورتيلاني و الزغداني عبد العالي الأخضرى إلى أن أتم الشيخ ابن باديس بناء مدرسة التربية و التعليم (2).

2-مدرسة التربية و التعليم ببسكرة (1943- 1947)

بعد وفاة الشيخ ابن باديس انتدب الشيخ البشير الإبراهيمي محمد العابد إلى مهمة أكبر و أعظم، فقد وجهه ليكون مدبرا على مدرسة التربية و التعليم ببسكرة، وقد شهد له بالكفاءة والتوفيق كل من عمل تحت إشرافه و كان معلما و مساعدا في النهار و مرشدا و اعضاء للكبار ليلا في فصول العليم،و لما رأى أهمية الكشافة في تربية الناشئة أسس في المدرسة فرعا للكشافة الإسلامية أسماه(فوج الرجاء)و نشطه رفقة تلاميذ و معلمي المدرسة

(1)مالك بن نبي،مذكرات شاهد للقرن ، ط 2 ،دار الفكر، الجزائر، 1984، ص: 66

(2)عتيقة سماتي ، محمد العابد السماتي حياته و آثاره، مرجع سابق، ص: 27

الفصل الثاني : محمد بن العابد الجلاي و الحركة الوطنية

عاش محبوبا في هذه المدرسة نظرا لموافقة و إيمانه الراسخ بأهدافه و أفكاره (1) بعد انخراطه في صفوف حزب الشعب وإعلانه عن مواقفه المؤيدة لحركة انتصارالحرريات،و قد نشب بينه و بين بعض أعضاء الجمعية صراع عندما اتهم بالنكران لها ووجوده لأفضالها عليه، فكان جوابه «صحيح أنا ابن الجمعية ولا أنكر أفضالها ما حبيت، ولكن ليس على الأم أن تحجر أفكار ابنها».أدى هذا الرد إلى إصدار قرار بتنزيله من رتبة مدير إلى معلم بنفس المدرسة (2)

عمل فيها بنشاط و حيوية رفقة بعض من حملة الفكر الإصلاحى، إذ كان يديرها الشيخ محمد العيد آل الخليفة، وقد غادر أقسام التعليم ملبياً نداء الجهاد والتحق بصفوف المجاهدين ليسجن بعد ذلك بقليل و يمضى فترة جهاده فى سجنه، و بعد الاستقلال عاد إلى إدارة مدرسة عين مليلة لمدة ثلاث سنوات، إلى أن عجز تماماً عن تحمل تبعات عمل الإدارة فتوقفت رحلة و نشاط "محمد بن العابد الجلالى" التعليمية عام 1965، وما أبعدته عن أداء مهمته التربوية التى زاولها لأكثر من ربع قرن إلا المرض و السقم (3).

(1) سليم كرام، مرجع سابق، ص: 196

(2) عتيقة سماتى، مرجع سابق، ص: 28

(3) سليم كرام، مرجع سابق، ص: 196

الفصل الثانى : محمد بن العابد الجلالى و الحركة الوطنية

ب- آراءه التربوية :

من الآراء والمبادئ التربوية التى ألقى على تطبيقها الشيخ "محمد بن العابد السماتى" فى ذلك

الحين للتصدي لأفكار المدرسة الاستعمارية جملة الأفكار و تتمثل فى:

1- ربط التعليم بالتربية لأنها شئان متلازمان، و هنا تبرز أهمية المعلم المثقف الذى يكون للتلميذ بمنزلة الأب.

2- مراعاة الواقع الجزائرى و بيئة الطفل المتعلم فى اختيار المواضيع و طبع الكتب.

استخدام الأساليب العصرية التي تتماشى وشخصيتنا الوطنية بقوله «إننا نريد أن نسترشد في سبيلنا و لا نقلدها تقليدا أعمى »

4- التحذير من حشو المعلومات و التحفيظ الممل الذي ينفر المتعلم حيث يقول « فلنحذر من أن نستغل نشاطهم وسلطاننا عليهم في الاستبداد بهم وحشواً أذهانهم بمحفوظات معنوية لا تتناولها أذهانهم البسيطة»

5- إيجاد الحوافز في العملية التربوية (تخصيص جوائز و شهادات للمجدين).

6- دعوته إلى عدم اكتظاظ الأقسام إلى أكثر من 40 تلميذ مما ينقص من ثمرة التعلم.

7- عدم الاكتفاء بالتعليم و التربية بل طالب بتوسيع دائرة النشاط لدى الطفل ليشمل بعض الصناعات و الرياضة البدنية و التربية الفنية.

8- الدعوة إلى مجانية التعليم و جزأة الكتاب المدرسي و الطرق البيداغوجية .

هذه الآراء و الأفكار هي من صميم المدرسة العصرية التي تعمل جاهدة على تطبيقها

توصل إليها المربي محمد ابن العابد بفضل اجتهاده و وطنيته و إخلاصه في مهنته التربوية⁽¹⁾.

(1)- فوزي مصمودي، أعلام من بسكرة ، مرجع سابق، ص:75

الفصل الثاني : محمد بن العابد الجلاي و الحركة الوطنية

ثانيا: محمد بن العابد الجلاي و الأنشودة الوطنية :

بات التوجه للشعر خيارا جماعيا لأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باعتباره وسيلة تربوية تكوينية ، و في هذا الإطار كان محمد بن العابد متميزا في ذلك ، حتى اتخذ من الأنشودة التربوية سبيله وسيفه الحاد في وجه التغريب الذي أخذ طريقه في الأوساط

وأدرك الشيخ أهمية الكلمة و خاصة الأنشودة التربوية ذات الكلمة الهادفة و الألحان الشجية و أثرها في نفوس الناشئة و دورها في بناء الشخصية الوطنية ، كما لاحظ اقتحام الأنشودة الفرنسية ساحات المدارس و المدن و القرى و حتى البيوت فبادر إلى تأليف مجموعة من الأناشيد المدرسية في بداية الثلاثينات ليتحدى بها الأناشيد الفرنسية ، و قد جمعت هذه الأناشيد في كتاب خاص بعنوان "الأناشيد المدرسية لأبناء و بنات المدرسة الجزائرية"

وتذكر بعض المصادر قصته مع فتيات المدرسة اللواتي يدرسن عنده كن يلعبن في ساحة المدرسة بالحبل وينشدن مقطع غائيا من أناشيد الصبية الفرنسيين «j'aime la galette» والفتيات لا يحسن نطقها جيدا فيذكرون (جميلة القليط) فأدرك رسوخ هذه الأناشيد في عالم طفلنا البريء. فهاج الشيخ فنارت ثورته، و دعاهن إلى الفصل وزجرهن على هذه الفعلة بقوله «ألا تعلمن أنكن تدرسن في مدرسة عربية إسلامية، لافي مدرسة استعمارية وإنما نغرس فيكن الروح الوطنية... و ما هذه الأنشودة إلا اهانة ومسبة للبنات الجزائرية»، فردت أحدهن بقولها (يا سيدي ليس لدينا أنشودة أخرى باللغة العربية ننشدها محل الأنشودة الفرنسية) عندئذ تيقن ابن العابد أن الاستغناء عن الأنشودة الفرنسية غير ممكن ما دام البديل

(01) سليم كرام ، مرجع سابق ، ص: 198

الفصل الثاني : محمد بن العابد الجلاي و الحركة الوطنية

غائبا ، فما كان منه إلا أن وضع لهن أنشودة عربية وطنية لحنها الفنان "عبد القادر بن التومي" بعنوان (أرينا الغزال) ⁽¹⁾. فطاف الشيخ فصلا فصلا، يقدم البديل المحترم الذي يجب أن يتخذه الأطفال سلاحا في وجه الأناشيد الفرنسية فلم يمض الأسبوع الأول حتى اكتسح

النشيد السمائي كل مجمع للأطفال، ودخل كل بيت في المدينة، و اعتدلت به السنة الناشئة لغة و ثقافة و روحا و وطنية، و هذا النشيد يقول في أحد مقاطعه: (2).

أرينا الغزال	يجوب التلال
ببصر متوالي	لروع جفل
أنا الضبي سحرا	أنا الثلج طهرا
أنا الصبح بشرا	للليل مطل

و بذلك انتبه الشيخ المصلح إلى تأثير الأنشودة في حياة المجتمع الجزائري، و وضع أناشيد مختلفة لفئات متعددة من المجتمع، كي يملأ الفراغ الروحي الذي استغلته الأناشيد الاستعمارية و يملأ الحياة إنشادا تربية و توعية وإرشادا موجهة إلى أبناء و بنات المدارس الجزائرية.

(1) فوزي مصمودي ، مرجع سابق ، ص : 78

(2) سليم كرام ، مرجع سابق ، ص : 199

مثل (نشيد الأطفال)، (نشيد الفتى)، (نشيد الفتاة)، نشيد افتتاح المدرسة (للبنات و أيضا للبنين) و (نشيد المولد)، و غيرها من الأناشيد التي جمعها و طبعتها في ديوان

بعنوان الأناشيد المدرسية لأبناء و البنات المدارس الجزائرية بالمطبعة التونسية سنة 1939
كما أشرنا سلفا، و جاء (1) في مقدمة هذا الكتاب:

((بسم الله الرحمان الرحيم و صلي الله و سلم على سيدنا محمد منبع الفضائل
و مصدر الجلائل، وعلى آله و أصحابه الذين اتبعوا آثاره و نشروا مآثره .
أما بعد فقد لمست مع زملائي الكرام أساتذة جمعية التربية و التعليم حاجة التلاميذ لتنمية
نشاطهم و نفي السامة عنهم إلى الأناشيد والأغاني المختلفة المقاصد المتنوعة المشارب، فاخترنا
لهم ما أمكن اختياره من الدواوين و هذه القطع أنشأتها لهم ، مراعيًا في إنشائها الانسجام فقط مع
حركات التلاميذ و لم أتقيد فيها بقوانين الشعر و أوزانه إذ لم يكن هذا من عرفي ثم بدا لي أن
أجمعها ، ثم أضعها بعد طبعها بين يدي زملائي المحترمين أساتذة المدارس ، عليهم يجدون فيها
ما يصلح للتعميم و على الله قصد السبيل)) (2) .

(1)سليم كرام، مرجع سابق، ص:200 .

(2)محمد بن العابد الجلاي، الأناشيد المدرسية لا بناء و بنات المدارس الجزائرية، المطبعة التونسية ، تونس، 1939 ،ص:
3.

بعد الحرب العالمية الأولى صدر قانون 4 فيفري 1919 و الذي فتح نافذة يتنفس منها الأهالي فكانت الصحافة هي لسانهم المعبر عن آلامهم و آمالهم و في سنة 1919 صدرت جريدة "النجاح " بمدينة قسنطينة لصاحبها عبد الحفيظ الهاشمي الطولقي و قد اشترك كل من محمد بن العابد وابن باديس في تأسيسها و الكتابة فيها ثم انفصلا عنها بعد انحرافها، و صارت لسانا من السنة الإدارية الاستعمارية في الجزائر.

وفي سنة 1925 صدرت جريدة "المنتقد" اتخذها عبد الحميد بن باديس منبرا و لسان نخبة الشباب الجزائري، و كانت تتطرق إلى الأوضاع المزرية السائدة و القضايا السياسية الداخلية و كان هدفها الإصلاح الديني، فكانت تصدر بمدينة قسنطينة، فيقول عنها صاحبها ((هي لسان حال الشباب الناهض في القطر الجزائري)).⁽¹⁾

و من هنا انطلق ابن العابد عبر الصحافة و شرع في العمل إلى جانب الإمام "المنتقد" أول حريدة أصدرها ابن باديس، و قد كانت منذ البداية شديدة اللهجة و الانتقاد لتصرفات الإدارة الفرنسية ضد الشعب الجزائري، كما كانت تتصدى للبدع و الخرافات المنتشرة في تلك الفترة، و بعد توقفها جاءت أسبوعية الشهاب 1925 فكان ابن العابد في الجريدتين كاتباً و داعياً لمبادئها التي عبر عنها هذا الشعار ((الحق فوق كل أحد والوطن فوق كل شيء)) و لقد عهد إليه شيخه القيام بجولات في بعض مناطق البلاد لفائدة المنتقد ثم الشهاب خلال السنتين 1925-1926 فكان يسجل أثناء استجوابه ملاحظات تحت عنوان ((وقفات)) يتناول فيها بقلمه ما يستوقف نظره من الآفات الاجتماعية و العادات البالية السائدة في المجتمع .

(1)عتيقة سماتي، مرجع سابق ، ص :83

ناقدا لها موجها الأنظار لعلاجها، و كان ميالا بطبيعته لنقد الأوضاع المستهجنة و المظاهر الشاذة في أي جانب من جوانب الحياة ،و من جهة أخرى كان يقوم بجمع الاشتراكات و يعرف بالكتب و الدوريات التي تصل المجلة ، كما كان ينشر قصصه بها و التي كان لها بعد سياسي إلى أن توقفت الجريدة عن الصدور سنة 1939 بسبب الحرب العالمية الثانية (1).

ولقد أسهم ابن العابد بزخم كبير من المقالات في العديد من الجرائد الإصلاحية الوطنية و على سبيل المثال كتب في :

1-الصدى: لصاحبها محمد بن باكير ، ومن المقالات التي كتبها مقال انتقد فيه نواب الشعب الجزائري العدد (53) 20 مارس 1922 .

2-لسان الدين 1923 لصاحبها مصطفى بن حاف و عبد العزيز حسن .

3-جريدة الفاروق عام 1924 لصاحبها عمر بن اقدور الجزائري .

إلى جانب بعض المقالات في بعض الجرائد (كالنجاح،الصراف السوي،المنار.....)(2) و كان يوقع معظم مقالاته باسمه المستعار "رشيد" .

(1)عتيقة سماتي، مرجع سابق،ص ص: 84-85 .

(2)فوزي مصمودي، تاريخ الصحافة والصحافيين في بسكرة و إقليمها من 1900 إلى 1956إصدار الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات

التاريخية لولاية بسكرة، مطبعة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ،عين مليلة،الجزائر،2006،ص:124 .

رافق بن العابد مراحل النهضة منذ بزوغ شمسها و وجد في أستاذه خير معين و مناصر مخلص، فكان يقوم بمهمته على أحسن ما يرام في مجلة (الشهاب) في مجال تحريرها ،و ذات يوم ذاق وقت الشيخ ابن باديس عن مطالعته ما يرد عليه من أطراف العالم من الكتب و المجالات و الصحف و التعليق عليها نظرا لانشغاله بالتدريس اليومي لمئات الطلاب، فلم يجد من هو أهل للقيام بهذه المهمة غير تلميذه محمد بن العابد و كتب موضحا ذلك يقول ((كثيرا ما قعدت بنا الدروس عن القيام بالواجبات الكتابية ومنها ما يهدي للشباب من الكتب والصحف والمجلات فقد وقفت اليوم -الحمد لله - للقيام بهذا الواجب بإسناده لابني و صديقي ، المفكر الحر ، الشيخ محمد بن العابد بن الخير الشيخ العابد ، و قد تفضل فقبل بما عاهدت به إليه، و سيكون في كتاباته مثالا للحرية و الأدب و الإخلاص))⁽¹⁾.

وقد عبر محمد ابن العابد ما أسند إليه من طرف أستاذه قائلا ((عهدت إلى تحريرالشهاب بفحص الكتب والمجلات التي نرد عليها بطريق المبادلة أوالإهداء والكتابة عنها بما يؤدي واجب الشكر لذويه و بما يقوم بنقدها و الفائدة منها، و هو حق ثان لقرائها ،و يجب أن يعلم القارئ لمنشئ هذه المجلة على حق الإنسانية كلها وثمة حق خامس ربما يكون أشد من جميعها وهو حق الوجدان ومعنى خطره أنه إذا ديس هذا الوجدان فقد ديس معه شرف الإخلاص إلا الرياء والمخادعة وهو ما لا يرضاه لنفسه عامل)).

(1) فوزي مصمودي ، مرجع سابق ، ص:124 .

(2) عن عتيقة سماتي ،مرجع سابق ،ص : 86

وللشيخ عدة مقالات في مجلة الشهاب ،فقد كان يقوم بدوره الصحفي بكتابة الاستطلاعات بأسلوب ليق وسلس لكي لا يمل القارئ .

2- أبو العجائب

وهي جريدة أسبوعية فكاهية نقدية تهذيبية ،أسسها المرابي محمد بن العابد الجلاي⁽¹⁾ فيما أسندت إدارتها إلى السيد أحمد أبو شمال،أما صاحب امتيازها فهو السيد منياي محمد وقد صدر عددها الأول يوم الخميس 09 صفر 1353هـ الموافق لـ24 ماي 1934 م واتخذت من قسنطينة مقرا لها⁽²⁾ .

وكان اختياره لقسنطينة له دلالة خاصة و وجود المطبعة الجزائرية الإسلامية إلى جانب قربها إلى حد ما من مركز صنع القرار و مصدرا من مصادر المعلومات خلافا لمدينة بسكرة⁽³⁾ وكانت تصدر كل يوم خميس في أربع صفحات ذات حجم متوسط(28×40 سم) واللافت للنظر في هذه الجريدة هو الأسلوب الأدبي الفكاهة أحيانا الساخر المتهم أحيانا أخرى⁽⁴⁾ أما خطها الافتتاحي فكان بلا شك مستمدا من روح الحركة الإصلاحية و جمعية العلماء التي كان الشيخ ابن العابد من أبرز رجالاتها، وقد امتازت هذه الجريدة بأسلوبها الانتقاد للأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية بأسلوب أدبي فكاهي مستعملة الرمز و التلميح بعيدا عن التصريح ،و قد عبر الشيخ الجلاي عن ذلك بقوله ((ويلاحظ في هذا العدد أن تكون الكتابة بشئ من روح النكتة و الفكاهة ليخفف حملها على القراء المثقلين بأعباء الخطوب و الدواهي))⁽⁵⁾.

(1)الصفحة الأولى من جريدة أبو العجائب أنظر الملحق رقم 4

(2)كان مقرها بنهج اليكسيس لمبارت (13 Rue Alexis Lambert) بقسنطينة .

(3)فوزي مصمودي ، تاريخ الصحافة و الصحفيين، مرجع سابق،ص:125 .

(4)محمد ناصر،الصحف العربية الجزائرية من 1947 إلى 1954 ،ط3،دار الغرب الإسلامي،الجزائر،2007،ص: 274

(5)عن فوزي مصمودي ،تاريخ الصحافة و الصحفيين، مرجع سابق ،ص: 125 .

وطيلة عشرة أعداد ازدانت (أبو العجائب) بالعديد من المقالات و الوقفات و الأعمدة الانتقادية التي تناول أغلبها ظاهرة من الظواهر الاجتماعية الشاذة أو تفصح شخصية منحرفة من الشخصيات الاجتماعية أو الدينية أو تعالج خلقا من الأخلاق الانهزامية المريضة، و لكن الأسلوب كان في الأغلب الأعم أدبيا فهو إما في قالب الحوار بين الكاتب و غيره ،و إما في قالب الحكاية مما يصح أن يطبق عليه المقال القصصي، و إما في قالب الرمز والاشارة والتعريض ،و لذلك عندما راح يتكلم عن خنق الحريات تحت الحكم الاستعماري اختيار أسلوبا رمزيا فيه تلميح و فيه تعريض ،و فيه سخرية مستغلا الحوادث أحسن استغلال ،مشيرا إلى هذا الاضطهاد الذي ما انفكت الصحافة العربية معرضة له، و ذلك حيث يقول "شعر الناس في قسنطينة بزلزال خفيف بعد زوال 15 أيار فسأل أبو العجائب عن سببه ، فقبل له: إنه ناشئ عن تنفس الأرض من شدة الحرارة التي في جوفها و أبو العجائب كما تعلمون من الحيوانات ذات الكبد الرطبة، و مع ذلك فهو محجر عليه التنفس ، فكان من الطبيعي أن يهيج هذا الخبر في نفس أبو العجائب الحساس غضبا شديدا و في الوقت نفسه رآه فرصة مواتية و تقديم احتجاجه ضد هذا التصرف لماذا يرخص للأرض وهي جماد أن تتنفس ولا يرخص لي أنا؟ إذا فخير لي أن أنقلب حجارة "

وأحيانا أخرى يستبدل بأسلوب الحوار كهذا الحوار الذي أجراه بينه وبين أحد المواطنين يقصد من ورائه إلى توعية الجزائريين بواقعهم المرير تحت الحكم الاستعماري، و عنوان المقال :لماذا؟ "لماذا أنسب إلى الوطن و أعامل فيه معاملة الأجنبي؟ لماذا أجبر على تقديم أولادي إلى الجندي و أرفض إذا قدمتم للتعليم لأنك... جذوة الشعور جامدة فيك ،لأنك لا تعرف قيمة العلم إلا تقليدا،و أنك تجهل معنى الحقوق لقد غضبت الانسانية ، وانتقمت لكرامتها و مازالت تغضب و تنقم فهل كنت أو تكون لها عند غضبته؟...."(1)

(1) محمد ناصر ، مرجع سابق ، ص ص 275-276

و حسب الدكتور عبد المالك مرتاض - الذي مكنه الأستاذ محمد الصالح رمضان من جميع أعدادها باستثناء العدد (09) فقد (كانت أبو العجائب تنشر بعض النصوص من الشعر الشعبي وبعض الأخبار، الطريفة كما كانت تصطنع العامية في عرض بعض القضايا الاجتماعية، وكان انتقادها خفيفا طريفا لا يخلو من اللذع في الوقت نفسه ،ومن ذلك هذه اللذعة نشرتها "أبو العجائب" تحت عنوان تأويل الرؤى " أنا فقيه واسع الاطلاع بحر في المسائل الفقهية ، فقد طالما دوى ذلك المسجد الجميل بصوتي الرنان ...و قد رأيت في المنام كأنني مسخت حمارا فيما تؤولون هذه الرؤية؟!".

و نتيجة لهذا الأسلوب الساخر و الانتقادي الذي لم تعهده الساحة الوطنية، و لم تألفه الإدارة الاستعمارية، لم تجد هذه الأخيرة سوى وأدها و لم يصدر منها إلا(10أعداد) كان آخرها الذي حمل تاريخ 13 ربيع الثاني 1353 هـ الموافق لـ26 جويلية 1934 م(1)

رابعا : نشاطه الكشفي

لقد كانت حياة الكشفية عند محمد ابن العابد خاصة تختلف عن كل حياته التربوية أو الصحفية، وعلاقاته العامة مع كبار شخصيات الإصلاح في الوطن، و أدرك بطبيعته الحاذقة و ببصيرته الثاقبة أن الكشافة عالم مثالي و مدرسة لتهيئة جيل الثورة، التي تحمل هو نفسه عبأها قبل انطلاقتها ،فاستيقن أن حياة التكوين لا تتأتي لجيل الثورة مع هذا العلم و هذه التوجيهات إن لم يكن هناك تنظيم خاص، فأسرع إلى إنشاء فوج الرجاء للكشافة الإسلامية رفقة أصدقائه سنة 1941 (1) ،وحرص على الانضمام إليه كل طلبة المدرسة التي يشرف عليها في بسكرة .

(1)يعتبر محمد بن العابد من المؤسسين لفوج الرجاء ببسكرة يوم 2 جانفي 1941 ، و مقر الفوج الرجاء حاليا بمحافظة الكشافة الاسلامية مقابل محطة القطار و حديقة 5 جويلية (جنان باليك) ببسكرة .

و كان يتابع نشاطه و يشرف على برامجه التكوينية، فأصبح رائدا في هذا المجال
تكونت تحت عنايته مجموعة من الثوار والوطنيين المخلصين، كالشهيد البطل "محمد العربي
ابن المهدي" والسيد "مبروك فطناسي" ، و السيد "الطاهر لقصوري"، و "سي بيوض"
وغيرهم (1)

وبالتسيق مع مجموعة من القادة والمرشدين استطاع بن العابد أن يكتف من البرامج
و يقوم بعدة نشاطات ترفيهية وتدريبية، و قد شارك فوج الرجاء في عدة تظاهرات كشفية و
قد مثل آنذاك ناحية بسكرة أحسن تمثيل ، و حسب ما أوردته عتيقة سماتي عند لقائها أحد
تلامذة محمد العابد السيد "لقصوري الطاهر" وهو كشاف الذي قال ((لقد تعرفت على الشيخ
في سنة 1944 و عندما التحقت بالفوج الثاني بالكشافة كنت أبلغ من العمر آنذاك الثالثة
عشر كان وقتها مرشدا وكان معه "الغسييري" و "علي مرحوم" و قد انضم له كل من "محبوب
عمار" و "أبو زاهر مداني" ، و "حروز محمد" و كان هؤلاء القواد ينتسبون إلى حزب الشعب
و كان يتميز عنهم في كونه يتمتع بروح الدعابة إلى جانب الصرامة و الحزم ، وذات
يوم دخل علينا و نحن بمقر الكشافة ، و كان رفقة "سي بيوض" واحد من رجال العلم، فأمرنا
قائدنا بالوقوف والتحية فكانت نوعا ما محتشمة، فقال الشيخ "كشاف قلنا مستعد ، فنظر إلينا
ثانية وقال هذه ليست صرخة تسعة عشر شاب، وإنما هي أشبه بصرخة بعض الفتيات ،
فيجب أن تكون صرختكم مدوية تهتز لها أركان القاعة، نحن نريدكم أن تكونوا رجال يعتمد
عليهم في الشدائد ، رجال الغد" .

(1) سليم كرام ،مرجع سابق، ص :176

وفي خريف 1946 قررت القيادة العامة و على رأسها الشهيد " مصطفى بن بولعيد" و "يوسف العمودي" أن تقيم مخيم تدريبي بضواحي آريس و يضم الطلائع الأربعة المتكونة من 32 كشاف و مجموعة من القواد و المرشدين، و تهيأنا للرحيل فبتنا أول الأمر في بيت "دهينة" الذي وهبه للكشافة، وفي الصباح الباكر جئنا السيد "حليمي الهاشمي" و هو أحد الشباب المتطوعين بشاحنته لحمل الأمتعة و سرنا خلف الشاحنة "باتنة" إذ وجدنا القائد " سعيد بركات" في انتظارنا، ولما اقتربنا من مدينة "آريس" طلب هذا الأخير التوقف للراحة ، فنصبنا الخيام ، و هناك رأينا شجرة تين ضخمة مثقلة و مرسعة بثمارها الشهية لا يسمح لأحد بجنيها لأقاول و إعتقادات ما أنزل الله بها من سلطان ، إذ أذاع سكان أنها "مرابطة" فلما علم بن العابد بهذه القصة المزعومة ضحك وقال " دعمك من هذه التفاهات فاقطفوا ما استطعتم و أتوني به لآكوله معكم "، وفي هذه الأثناء راح السيد "مصطفى بن بولعيد" لزيارة ذويه بالدرشة و أحضر لنا معه طعاما فاخرا و شهيا ، و بهذه المناسبة نظم قائد الفرقة "مداني بوزاهر" قصيدة إستعرض فيها أحداث الرحلة ((¹)).

إحنا الكشافة المسافرين *** للسفر رانا مشوقينا
 في دار دهينة بايتين *** و إنطلقنا مع الصبيحة
 نشكر قايدنا السعيد *** نشكرو والكشافة تزيد
 عن خاطر قال المفيد *** في باتنة انريحو الشوية
 شيخنا يا بو برنوص *** فتانا وا شبعنا كرطوس
 شجرة حافلة كي لعروس *** خرطانها في عشوية

(1) عتيقة سماتي ، مرجع سابق ، ص ص : 29-30 .

خامسا :نشاطه في المسرح

لم يغفل ابن العابد عن دور المسرح الفعال في النهضة وتربية الأجيال وتهذيب المجتمع فقد كان من السابقين في كتابة النصوص المسرحية باللغة الفصحى و قد كتب عدد من المسرحيات ، كما شارك في إعداد تمثيلية بعنوان (في سبيل التاج) ، وعمل مرشد ديني وكشفي في تحضيرها و إلقاءها في قاعة السينما (الكازينو)⁽¹⁾ الأطلس حاليا سنة 1945 بمشاركة كل من البطل الروائي "العربي بن المهدي" و "أحمد تتاي"⁽²⁾ إضافة إلى مسرحية (عبارة العرب) وهي غير مطبوعة ذكرها الدكتور "أبو القاسم سعد الله" محددًا موضوعها التاريخي و السياسي وقد مثلت على مسرح كلية الشعب بمدينة قسنطينة سنة 1936 كما عثر الدكتور "عبد المالك مرتاض" على مسرحية (مضار الجهل والخمر والحشيش و القمار)⁽³⁾ وهي مسرحية إجتماعية نثرية مدرسية تقع في أربعة فصول مستوعبة 23 صفحة، و يقول الدكتور "عبد المالك مرتاض" عن هذه المسرحية ((وهي أول مسرحية نثرية كتبت باللغة الفصحى، وأتيح لنا أن نقع عليها ، فهي تمثل عهدا من عهود الفن المسرحي الأول))⁽⁴⁾ .

(1) قاعة السينما (الكازينو) ، أو ما يعرف في الأوساط الشعبية في تلك الفترة بقاعة "اليهودي" و حاليا تسمى قاعة الأطلس بشارح الحكيم سعدان ببيسكرة حاليا

(2) نسخة من مقال سلمت لنا من طرف مدير المركز الثقافي بأولاد جلال في إطار البحث حول شخصية محمد بن العابد ، وكذا مجموعة من الصور و المقالات حول شهداء المنطقة و نسخة مصورة من كتاب تقويم الأخلاق ، ذلك يوم 19 سبتمبر 2012 رفقة الأستاذ فوزي مصمودي .

(3) مسرحية مضار الجهل و الخمر و الحشيش و القمار ، أنظر ملحق رقم 2

(4) عبد المالك مرتاض ، فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931-1954 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983 .

سادسا: محمد بن العابد و نشاطه في حزب الشعب

عرف بن العابد الجلاي بتطرفه في حب الجزائر و يقينه بعزها و كرامتها و ثورته الزائدة للحق والدين والقيم الإنسانية، كما عرف بعدائه الشديد لكل ما هو فرنسي أو يمت له بصلة، فقد تجاذبت البلاد أفكار متعددة و مختلفة منها ما يدعو إلى التكوين ، و ما يدعو إلى اللين مع العدو، و فيها من يرى أصحابها أن الوقت حان لتحقيق الحرية، و لهذا لم يكن وجوده في المجال التربوي بالأمر الغريب ولا إيمانه بدوره و قيم جمعية العلماء المسلمين الجزائري أيضا غريبا لم يستغرب مقربوه وتلاميذه من اعتناق الشيخ مبادئ وأفكار حزب الشعب ، و بعدها أيد تجمع أحباب البيان والحرية لأنه أيقن بعد مجازر الثامن ماي الدامية أن أسلوب اللين والتربية و التكوين والتوجيه لا يجدي نفعا ، خاصة أنه أطال أمد البقاء للمستعمر الفرنسي في البلاد، و لهذا دعا إلى لم الشمل و إنهاء أسباب الخلاف ورفض الفرقة التي حصلت في الموقف السياسي، فكتب في الصحف وخاصة "المنار" يجهر برأيه في مساندة خيار الثورة و الجهاد ، لقد أدرك شيخنا الجهاد و آمن به قبل أن يبدأ و تنبأ له و شجع كل المبادرات الهادفة إلى تحقيقه، و حينما كون المجاهد"صالح بوزراع" تنظيما سريا رفقة مجموعة من الشباب أطلقوا⁽¹⁾، على أنفسهم اسم "الحزب الثوري" سنة 1941 استبشروا أقنعهم بالانضمام إليه، لكن حينما فشل التنظيم و اكتشفت فرنسا أمره تأسف الشيخ لضياح هذا الأمل، و كرد فعل على ذلك انضم إلى حركة انتصار الحريات الديمقراطية، و جهر بصوته الصادق إلى ضرورة الكفاح من أجل الاستقلال و قد أخبره بعض تلاميذه بوجود تنظيم شبه عسكري بزعامة صديقه "مصطفى بن بولعيد" و تلميذه "العربي بن المهدي" ، فرأوا غبطة على وجهه واستبشارا.

(1) سليم كرام ،مرجع سابق ، ص ص 200-201 .

غير أن ذلك لم يدم طويلا ، فكانت حسرته كبيرة حينما اكتشف أمر التنظيم سنة 1950، لقد اقتنع الشيخ بفكر حزب الشعب فانضم إلى صفوفه وأعلن قناعاته المؤيدة لحركة انتصار الحريات الديمقراطية التي عارضها زعماء جمعية العلماء المسلمين ، فحدث بينه وبينهم صراع إتهم فيه بالتنكر لفضل الجمعية عليه و ججوده لما قدمته له من عون، فقال "صحيح أن ابن الجمعية و لا أنكر أفضالها ما حبيت ، و لكن ليس على الأم أن تحجر أفكار ابنها" وقد جر عليه ذلك أن صدر قرار بتنزيله من رتبة مدير إلى معلم بسيط في نفس المدرسة و منع عنه راتبه الشهري فلم يزد ذلك إلا إلتراما و يقينا و لم ينته عن أداء عمله، و قد استنكر جل العلماء ما يحدث له حينها (1) .

(1)سليم كرام ،مرجع سابق ،ص :202

الفصل الثالث

(محمد بن العابد الجلاي و الثورة)

أولاً: إندلاع الثورة الجزائرية عبر التراب الوطني

إن الذين يريدون إخفاء الحقيقة و إجحاف الحركة الوطنية لسبب ما، يقولون بأن الشعب الجزائري هو الذي أشعل نار الثورة بعد أن تأكد من أن الأساليب السياسية لم تعد مجدية، ومن أن طريق الكفاح المسلح وحده الكفيل بتحقيق الإستقلال ، ومثل هذه الأقوال و الآراء ضرب من التزييف، لأن التاريخ في جميع مراحلها لم يعرف ثورة قامت بها الجماهير نتيجة نضجها و تفكيرها دون أن تقودها إليها طبيعة معينة، إن فكرة الكفاح المسلح قد ولدت في أذهان مناضلي الحركة الوطنية الذين لجأوا لتكوين المنظمة الخاصة التي عين المشرفون عليها بتدريب أعضائها عسكريا و تكوينهم سياسيا و عقائديا لمدايعة الاستعمار الفرنسي في جميع الميادين⁽¹⁾، ونتيجة لهذا العمل جاء اجتماع مجموعة الاثنتين والعشرين في منتصف شهر جوان 1954 بمنزل "إلياس دريش" (كلود سالمبي) المدنية حاليا بالجزائر العاصمة، الذي نتج عنه اتخاذ قرار تفجير الثورة المسلحة وتشكيل لجنة مكلفة بالإعداد لتنفيذ هذا القرار، متكونة من: "محمد العربي بن مهيدي" و "مصطفى بن بولعيد"، "ديدوش مراد" و "رابح بيطاط" وانضمام " كريم بلقاسم " إليها في بداية شهر سبتمبر ممثلا لمنطقة بلاد القبائل، وعلى إثر لقاء هذه اللجنة يوم 23 أكتوبر 1954 بالعاصمة التي صادفت فيه على بيان أول نوفمبر 1954، وقامت بتسمية (جبهة التحرير الوطني) كعنوان للواجهة التي ستشرف على قيادة الثورة، ثم قامت بإنشاء (جيش التحرير الوطني) و تقسيم البلاد إلى خمس مناطق ثم تعيين على رأس كل منطقة قائد و نواب له.⁽²⁾

ففي المنطقة الأولى

وفي هذا الإطار منح رقم واحد لمنطقة الأوراس وأُسند أمر قيادتها للقائد "مصطفى بن بولعيد" وتكليفه أيضا بمهمة إنشاء المنطقة السادسة للصحراء حسب رواية "عيسى كيشدة"

(1) محمد العربي الزبيرى ، الثورة الجزائرية في عامها الأول ، ط1، الجزائر، 1984، ص : 117 .

(2) نصر الدين مصمودي ، ، مرجع سابق، ص : 55.

وقول "محمد حربي"، وتبدو هنا الأهمية الكبرى التي خص بها قادة الثورة منطقة الأوراس لحجم المسؤولية الملقاة على عاتقها وعلى قائدها في تحمل عبء الثورة في شهورها الأولى من اندلاعها.

عقب هذا اللقاء مباشرة عقد القائد "مصطفى بن بولعيد" اجتماعا مع مناضلي المنطقة الأولى بدار "عبد الله بن سعود" (مزيطي) بقرية (لقرين) قرب (دوقانة) بباتنة حضره كل من "شيخاني بشير" و"عاجل عجول" و"عباس لغرور" و"موسى حاجي" و"محمد خنثر" وفيه أخبرهم عن موعد اندلاع الثورة المتفق عليه، و تلا عليهم نص بيان أول نوفمبر الذي تم سحبه مع نسخة القانون الأساسي لجيش التحرير الوطني ليشرع بعد نهاية من هذا اللقاء في نقل كمية من السلاح المخزون في قرية (الحجاج) بالأوراس و حمله على متن سيارته وسيارة (فرحات بن شائبة) صحبة "شيخاني بشير" إلى الأفواج البعيدة في المنطقة، مثل فوج مشونش وتكوت والولجة ويابوس وبريكة، أما الباقي من السلاح فقد تم توزيعه على الأفواج التي اجتمع بها في ليلة 31 أكتوبر 1954 في دار "بولقواس" بدشرة (خنقة الحدادة) بعد تقسيمهم و تعيين أهداف العمليات الأولى.

وإلى بسكرة أرسل "مصطفى بن بولعيد" الفوج الذي يقوده "حسين برحاييل" القادم من مشونش للاتصال بالمناضل "الطيب حراز" ليدلهم على الأهداف المعنية للعمليات في الوقت الذي كان فيه "محمد بوضياف" قد حضر إلى منطقة الصحراء ومنها الزيبان وقد أجرى اتصالات مع "زيان عاشور" الذي يبدو أن "مصطفى بن بولعيد" لم يتصل به، مما جعله لم يشارك في ليلة أول نوفمبر والتي اعتقل في يومها حسب رواية "الطيب فرحات حميدة" المدعو "الرائد زكريا" وعلى كل فإن الفوج القادم من مشونش تمكن من تنفيذ العمليات بقيادة "حسين برحاييل" بعد أن شكلوا خمس مجموعات وزعت فيها المهام على الشكل التالي :

المجموعة الأولى : "حسين برحاييل" صحبة "الحسين عبد السلام" توجهوا بفوجهما إلى الثكنة العسكرية بمدينة بسكرة حيث تم تنفيذ العملية.

المجموعة الثانية: " عبد القادر عبد السلام "توجه بفوجه إلى ضرب مركز الشرطة بمدينة
بسكرة (محافظة الشرطة) وتمت العملية.

المجموعة الثالثة: " أحمد قادة " توجه بفوجه إلى تنفيذ العملية بمحطة القطار
La garde biskra بمدينة بسكرة و تمت العملية.

المجموعة الرابعة: " عبد الرحمن عبد السلام "توجه بفوجه إلى ضرب مركز البريد بسكرة وتمت
العملية.

المجموعة الخامسة: " عقوني عبد الله " توجه بفوجه إلى ضرب المولد الكهربائي بمدينة
بسكرة و تمت العملية. (1)

وعن نتائج العمليات أشارت إليها جريدة البصائر في وصفها لهجومات ليلة أول نوفمبر
عبرالوطن بعنوان(حوادث الليلة الليلية في عددها 292 الصادرة في نوفمبر 1954)،حيث
جاء فيها ما يلي: ((في بسكرة وقع تفجير قنبلة أمام المعمل الكهربائي كما انفجرت قنابل
أخرى أمام الثكنة العسكرية،وأمام(الكوميسارية)وفي محطة السكة الحديدية ولقد جرح أحد
رجال البوليس،كما جرح الحراس،أمام الطريق في بسكرة وأريس فقد منع التجول بها، وأخذت
الطائرات العسكرية تحوم على كامل تلك الجهات، و لقد أرغم رجال مسلحون عربية نقل كبيرة
على الوقوف ، وأنزلوا ركابها واختار منهم ثلاثة ثم أمروا الباقين بالرجوع إلى مقاعدهم.
أما الثلاثة فهم قائد مشونش ، ومعلم فرنسي وزوجته ،فقد أطلقوا عليهم الرصاص فمات
القائد والمعلم وجرحت زوجته جراحا خطيرة ،وهي الآن في مستشفى آريس)).

(1)نصر الدين مصمودي، مرجع سابق، ص: 57 .

وبعد تنفيذ العمليات الأولى بمدينة بسكرة انسحب المجاهدون راجعين إلى مركز قبالة بنيان وغسيرة بجبل أحمر خدو ومن هناك شرعوا في عمليات الجهاد المسلح ونشروا الثورة، وكان ذلك بالتجنيد والتسليح والتعبئة الشعبية وبتنظيم حرب العصابات.

المنطقة الثانية

أما المنطقة الثانية والتي كانت تعرف بالشمال القسنطيني، فقد أسندت قيادتها " لديدوش مراد " بمساعدة كل من " زيغود يوسف " ولخضر بن طوبال و " عمار بن عودة " ، وعند قدوم " ديدوش مراد " إلى المنطقة قام بتوزيع المهام على المسؤولين.

- زيغود يوسف : منطقة سكيكدة ، سمنو

- الأخضر بن طوبال : منطقة الميلية ، مليلة ، ضواحي جيجل

- عمار بن عودة ، منطقة عنابة

ولم يكن عدد المشاركين في انطلاقة أول نوفمبر في الشمال القسنطيني يتجاوز 17 مجاهدا لا يملكون سوى سلاح بسيط يتمثل في بنادق صيد وقسموا إلى فوجين : الفوج الأول : توجه إلى منطقة القرام ، وقد أمر الانتظار حتى وصول الأوامر والقيام خلال ذلك بإخراج السلاح وتحضيره.

الفوج الثاني : تجمع في منزل "عمار بلقعوير " بحضور " لخضر بن طوبال " وأحضروا مجموعة من البغال، وتوجهوا إلى المنجم "بولحمام" على مسافة 14 كلم من مدينة الميلية، وذلك بهدف مهاجمة المنجم والاستيلاء على البارود والألغام واشتباك الفوج مع حراس المنجم بتبادل الطلقات النارية، فهرب الحراس، وقد قام "زيغود يوسف" ليلة الفاتح من نوفمبر على رأس فوج من المجاهدين بمهاجمة قرية (سمنو)⁽¹⁾.

(1) هذه القرية تقع شمال قسنطينة وهي تحمل إسم الشهيد زيغود يوسف حاليا

أما منطقة عنابة فيقول المجاهد عمار بن عودة : « أنه أثناء توجههم لتنفيذ مهام قرية برحال ، سمعوا من خلال مذياع صغير كانوا يحملونه معهم أن هناك هجوما قد وقع على أحد مراكز عنابة ، وعليه قررت المجموعة التوقف والعودة »⁽¹⁾، رغم الانطلاقة المتواضعة للثورة في المنطقة الثانية، إلا أن الهدف الرئيس قد تحقق وهو شمولية الثورة وانطلاقها في وقت واحد عبر كامل أجزاء الوطن الجزائري.

3- المنطقة الثالثة :

لقد أوكلت قيادة هذه المنطقة (بلاد القبائل) إلى " كريم بلقاسم " بمساعدة " عمر أوعمران" حيث عقد اجتماعا يوم 1954/10/03 لقيادة الأفواج في « تقربولست » و « يهاليل » وذلك بغية استنهاض الهمم والتعريف بأهداف الثورة والاستعداد للكفاح المسلح ، وفي يوم 08 أكتوبر 1954 عقد اجتماع بقرية أولاد قاسم (باليسطور) (الأخضرية حاليا) ، تحت رئاسة " سي محمد بوقرة " لتجسيد نواة الكفاح المسلح بالمنطقة حيث تم تنظيم المناضلين إلى أفواج شبه عسكرية وسياسية، كانت المهام الأولى تتمثل في جمع الأسلحة والألبسة والاستعداد الكلي لخوض غمار الحرب، وتجسدت المهمة الثانية في توعية وتجنيد الجماهير، وكانت العمليات الأولى في بلاد القبائل بمثابة إعلان عن شمولية الثورة، والتي كانت تهدف إلى كسب ثقة الجماهير وبتحريض الرعب في نفوس المستعمرين والمتعاونين معهم وإزالة الغموض لدى المترددين، أما حجم العمليات العسكرية ليلية الفاتح من نوفمبر، فكانت متواضعة إلا أنها تفوق الإمكانيات المتوفرة والتي

اقتصرت على بنادق الصيد وبعض المتفجرات المحلية الصنع، أما ميادينه فهي متنوعة وعديدة منها ،عملية تخريب الأعمدة الكهربائية « بمشدالة » ، قطع خيوط الهاتف بن (مابو بني منصور) بالإضافة إلى اشتباكات محدودة في عدة مناطق من الولاية.

(2) عمار قليل ، ملحة الجزائر ، ، ط1 ، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر 1991 ، ج 1 ، ص ص : 205 . 207.

المنطقة الرابعة :

أسندت قيادة المنطقة الرابعة التي تضم الجزائر العاصمة إلى " رابح بيطاط" ونائبه " بوجمعة سويداني"، حاول قائد المنطقة ورفقاؤه أن يضربوا بقوة ليلة الفاتح نوفمبر بالنظر إلى أهمية الأثر الدعائي الناجم عن ضرب أهداف هامة بقلب الجزائر العاصمة وضواحيها وتجلى هذا الطموح في قائمة الأهداف مثل: محطة الإذاعة، ومحطة توليد الكهرباء وثكنتي البلدية وبوفاريك.

ولم يكن الغرض من مهاجمة هاتين الثكنتين -وغيرهما في المناطق الأخرى- هو الحصول على الأسلحة فقط، بل كانت هناك أهداف مثل : رفع معنويات الثوار وضرب معنويات العدو ،هذا العدو الذي ينبغي أن يعرف منذ الوهلة الأولى ، أنه أمام خصم قادر على ضربه في عقر داره، لم يكن نتائج العمليات الأولى في مستوى هذا الطموح ، نظرا لندرة الأسلحة وضعف مفعول القنابل التقليدية المستعملة مثلا لنسق الإذاعة ومحطة الكهرباء .. لكن الأثر المعنوي والدعائي كان كبيرا بدون شك لا سيما بعد نجاح المجموعة التي هاجمت ثكنة " بوفاريك" في غنم 6 بنادق و4 رشاشات (1) .

المنطقة الخامسة :

أسندت مهمة قيادتها والإعداد للثورة بها إلى "محمد العربي بن مهيدي" ونائبه "عبد الكريم بوصوف" وتمثل هذه المنطقة ثلث مساحة القطر الجزائري، بحيث تمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى أقصى الجنوب وتمتد من حدود المغرب الأقصى إلى الحدود الإدارية بعمالة الجزائر شرقا ،وكانت خطة بن مهيدي ورفقاؤه في البداية أن يضرب بقوة في وهران ثاني مدن البلاد بعد العاصمة ، بمهاجمة إحدى ثكناتها العسكرية(2).

(1) محمد عباس ، نصر بلا ثمن (الثورة الجزائرية 1954-1962) ، دار القصبية للنشر ، الجزائر ، 2007 ، ص : 89

(2) عمار قليل ، مرجع سابق ، ص ص : 89-90

لكن عدم دخول الأسلحة الموعودة من بعض المناضلين في المغرب وتونس ، جعل "بن مهدي" ورفقائه يراجعون خططهم في الاعتماد على إمكانياتهم الذاتية ، وكانت محدودة جدا على الصعيدين المادي والبشري ، وقد نجم مشكل ندرة الإمكانيات على آخر اجتماع في 30 أكتوبر 1954 ، حتى أن قائد المنطقة لم يجد بدا من مصارحة نوابه قائلا: ((نحن ملزمون بأن نكون في الموعد بلا مال ولا سلاح)) ويضيف ((أنها آخر جولة في آخر معركة مع النظام الاستعماري ...)) وعلق عليه "رمضان بن عبد المالك: ((سنموت إذا مع الذين وضعوا ثقتهم فينا))، وكان "بن مهدي" ورفقائه في الموعد فعلا، كما تؤكد ذلك حصيلة الأمن الفرنسي نفسه.

- مقتل ثلاثة أوروبيين .

- إحراق عدد من مزارع المستوطنين بنواحي ويلي وب سكي و وهران.

- تخريب السكة الحديدية على خط وهران - العاصمة (1).

كانت انطلاقة الفاتح من نوفمبر إذا متواضعة بالنظر لحجم الخسائر المادية والبشرية الناجمة عنها ، لكنها كانت هامة من حيث دلالتها وخطورتها على نظام الاحتلال القائم بالجزائر منذ 1830 باعتبارها شرارة ثورية شعبية تستهدف الإطاحة بهذا النظام عاجلا أم آجلا: بواسطة التفاوض على المدى القريب أو عن طريق حرب استنزاف طويلة ...

ويؤكد الكاتب "مصطفى الأشرف" أهمية هذه الانطلاقة بقوله ((إن نظام الاحتلال أصيب بها إصابة قاتلة منذ الوهلة الأولى))، ويضيف كأحد رجالات فاتح نوفمبر بالمنطقة الثالثة في نفس السياق ((أن الذي غمرنا ونحن نطلق الرصاص الأولى هو أننا على طريق النصر سائرون)).

(1) محمد عباس، مرجع سابق، ص ص 89-90 .

غير أن هذا الشعور المتفائل لم يكن ليمنع الثوار الأوائل من تقدير الأمور بواقعية باردة وتوقع أن تكون انطلاقة فاتح نوفمبر مدخلا " لحرب طويلة شرسة" (1) ، وفي هذا الإطار يكشف "رابح بطاط" على لسان مفتش شرطة قال وهو يشرف على تعذيبه ((لكن اختيار القوة الذي لجأتم إليه هو السبيل المجدي الوحيد ، لكن هذا الطريق سيكلفكم غالبا فالشعب الجزائري سيحصل على استقلاله مقابل مليونين أو ثلاثة من القتلى)) (2) .

(1) محمد عباس ، مرجع سابق ، ص: 91

(2) نفسه ، ص 83

ثانيا :التحاق محمد بن العابد الجلاي بالثورة :

كم كانت حسرة شيخنا كبيرة حينما اكتشف أمرالنتظيم(المنظمة الخاصة) سنة1950 غيرأن إخلاص الرجل جعله يدرك أن لحظة الحسم اقتربت، لأنه يراها رأي العين الثاقبة، في حين أن كثيرا من الزعماء الثوريين فتح عينه على الحقيقة ليلة انطلاق الثورة ، أما ابن العابد فقد كان على علم بها دون أن يبوح بسرها (1)،والدليل حسب الباحثة"عتيقة سماتي"عن رواية المرحوم "محمد الطيب العلوي" والذي كان من أبطالها.

وفي سبتمبر 1954 دعا أحد طلبة الشيخ ابن العابد بعض الأصدقاء الذين درسوا معه لتناول الغداء في منزله بقسنطينة، وعلى شرف أستاذهم الشيخ ابن العابد الذي وعد بالحضور ، كان هذا سببا في ألا يتخلف أحد من المدعوين وبعد تبادل التحايا، فاجأ الشيخ الحاضرين بتوجيه الأسئلة لكل واحد منهم: هل أنت متزوج ؟ كل من سئل أجاب بنعم ،كم لديك من الأولاد ؟ أحدهم يقول ثلاثة والآخر أربعة والآخر خمسة ... وما كاد يسمع هذه الأعداد من الأولاد ، حتى نهض من مكانه ، متوجها نحو الباب وهو يقول : « كيف تقابلون الثورة إذا اندلعت غدا ؟ يقابلها كل واحد منكم معتذرا بأن له زوجة وله كذا من الأولاد ، وهم بمغادرة البيت لولا أنه صاحبة البيت وهي من تلميذاته ، هددت الضيوف بحرمانهم من الغداء إذا غادر الشيخ أسرع الحاضرون على تهدئته : " كن مطمئنا يا سيدنا إذا قامت الثورة ، فثق أننا لا نتخلف ولا نقصر ، هدأ، روعه وانقضى فزعه عن مستقبل الثورة التي حمل همها قبل بدايتها». (2)

(1) سليم كرام ، مرجع سابق ، ص : 202.

(2) عتيقة سماتي ، مرجع سابق ، ص : 65.

وبعد انطلاق الثورة كان ابن العابد رغم شيخوخته من السباقيين للالتحاق بها، فلم تقف سنونه الأربعة والستون أمام تحقيق حلمه، وقد أكد أمر طواعية التحاق الشيخ بالجبال أكثر من مصدر موثوق به من بينهم الشيخ الفاضل وعميد الملتقيات الوطنية المرحوم . زهير الزاهري . فقال عنه «إن بن العابد ومحمد الزامي الميلي وإبراهيم مزهودي من الذين التحقوا بالثورة مختارين بصدق وإخلاص»⁽¹⁾.

ويقول عنه "عيسى كشيدة" صاحب كتاب مهندسو الثورة «الشيخ بلعابد سماتي رجل تقي و محترم، عمل مدرسا في إحدى المدارس التي يشرف عليها حزب الشعب(حركة انتصار الحريات الديمقراطية) في عين مليلة، وكان بوضياف وبن بولعيد وبن مهدي يزورونه في كل مرة يمرون على الناحية ، كانوا يكونون له احتراما كبيرا ويرد ذكره دوما في حديثهم أثناء إنجاز تقاريرهم الشهرية الموجهة للحزب »

التحق الشيخ بالجبال رغم قرار مسؤولي جيش التحرير للناحية الذين نصحوه بأن يلزم بيته، وأن يساعد الثورة بطرق أخرى كالإرشاد الديني ، لكنه أصر على الصعود وحمل البندقية لإخراج المستعمر»⁽²⁾.

وقد حاول طلبته جاهدين منعه من الالتحاق بالجبال إشفافا عليه وعلى شيخوخته ، إلا أن شباب عزمته ونضارة قناعته تجلت من خلال توبيخه لهم على الفهم الخاطئ للثورة فهي . كما علمهم . لا تعرف السن، ولوعرفته لكانت هي عجوزا، فكل من في الجزائر أبناؤها، وعليهم المشاركة في تحقيق حلمها، وقد عبر عن هذا المعنى قبل ذلك شعرا حين قال :

(1) عتيقة سماتي ،مرجع سابق ، ص : 66.

(2) Aissa Kechda .les Architectes de la révolution .chihab edtion .Batna .Alger .2001 .p 127

جزائر العز اسلمي دون بلائك دمي
هذا فؤادي و فمي و انتظري كلي غدا
بنا الجزائر تعود كما تبدت للوجود

التحق الشيخ ابن العابد بفوج القائد المجاهد بشير حجاج فكان نعم الجندي المبادر ويذكر أعضاء الفوج مبادرة الشيخ في الأعمال الموكلة لهم ، بل وسابق الشباب مزاحما لهم ضاربا أروع أمثلة الإخلاص وحب الوطن ،ويقنن الأفكار التي يؤمن بها فتحول حاله من معلم مربى إلى مجاهد يخوض الصعاب ،غير أن حياة الجندي لم تدم طويلا، حيث وقع في الأسر جراء كمين نصبه العدو للمجموعة في منطقة (الهرية) قرب الخروب في شهر ديسمبر 1955.(1)

(1) سليم كرام ، مرجع سابق ، ص ص : 203 ، 204.

ثالثا :محنة محمد ابن العابد الجلاي مع الاعتقال و السجون :

لقد ألقى القبض عليه حيث كان رفقة ثلة من أصحابه بالقرية ،بنواحي بلدة "الخروب "وقعوا في يد الجيش الفرنسي الذي ألقى القبض على هاته الأشباح التي هزت كيان فرنسا.

كان الضابط الفرنسي المشرف على عملية التعذيب ، يظن أن أضعف نقطة في هذا الفوج هو هذا الشيخ الهرم، وكان يعتقد أنه عن طريقه سينتزع الأسرار من المجموعة بكل سهولة هذا اعتقاده لكن الشيخ عكس ذلك، فقد واجه ألوان التعذيب الوحشي ولم يعبأ بجلاديه ولا بتهديداتهم ،وتمسك بالصبر والجلد ، فلم يأخذوا منه أي شيء ولو بسيطا من أسرار الثورة التي تبناها، فعسروا عليه في التعذيب حتى كسر له الحراس أسنانه ويذكر " عيسى كشيدة " أنه صمد لهم بفكه المشوه ، ورد لهم الصاع صاعين في ثبات وبقين.⁽¹⁾

فقد سأله الجلادون ماذا لو أطلقنا سراحك هل تعود إلى أهلك ومنزلك وحياتك الهانئة ، بعيدا عن هذا التعب والجنون ، وتبتعد عن هؤلاء الخارجين عن القانون ؟ فرد عليه الشيخ في عزم وثبات دون أن تخور قواه أو تجبن عزائمه رغم قسوة التعذيب وشدته على شيخ تجاوزالستين « إني على استعداد لأن أعود إلى المعركة من جديد إلى جانب إخواني الذين تركتهم ورائي »⁽²⁾

(1) Aissa Kechda .Opcit .p :128

(2)سليم كرام ،مرجع سابق ،ص : 205 .

ولما عجز الجنود والشرطة عن نزع اعترافات منه و سئموا من تعذيبه قدموه ورفاقه إلى قاضي التحقيق وجرت محاكمته من طرف السلطات الاستعمارية في أواخر 1955 في إحدى محاكم قسنطينة ، ولما سئل أثناء محاكمته : لماذا تركت التعليم وأنت المعلم الأديب ؟ فأجاب قائلاً : « لأنني وجدت كل ذلك لم يجد معكم » فقضي بسجنه بتهمة المس بالأمن الخارجي للدولة وطئت أقدام ابن العابد سجن " الكدية " بقسنطينة يوم 13 ديسمبر 1955، ولما سمع تلاميذه خبر سجنه بالكدية اتفقوا على إنقاذه بأي ثمن كان، بما في ذلك تسريب الرشاوي في صفوف القضاة الفرنسيين وجمعوا لذلك أموالاً طائلة لإطلاق سراحه وتعيين محامين للدفاع اختارتهم الثورة ، زار أحد المحامين ابن العابد وهو في السجن، وطلب منه أن يساعده بعبارة واحدة، وهو أن يصرح أمام القاضي بأنه مغلوب على أمره، وأنه أجبر على الالتحاق بالجبل علماً بأن هذه العبارة تساهم كثيراً في تحريره.

انتفض الشيخ في وجه هذا المحامي وطرده قائلاً له: « أنت مثببط للعزائم ، وخائن

للثورة أغرب عن وجهي لا أريد أن أراك بعد اليوم »⁽¹⁾

محاكمته:

بعد تسلم القضاة الرشاوي، فقد حاولوا إيجاد مبرر يعتمدون عليه في إطلاق سراحه قال له القاضي: بما أنك شيخ مسن، ومعلم أطفال، فلاشك أن هؤلاء الفلاقة هم الذين أرغموك على الالتحاق بصفوفهم ، قام ابن العابد محتجاً على إهانته بأنه التحق بالثورة مع إخوانه عن قناعة راسخة منذ عهد قديم، وراح يشكر الشبان الذين فجروا الثورة لأنهم غسلوا العار الذي لازم الجزائر مدة قرن وربع ، أمام هذا الإصرار الذي لم يجد القاضي الفرنسي منه منفذاً ينقذ به ابن العابد.

(1) عتيقة سماتي ، مرجع سابق ، ص : 68.

وقد أصدر الحكم عليه بعشر سنوات سجنا نافذا وغرامة مالية بـ : 5000.00 فرنك وعشر سنوات حرمان من الحقوق المدنية وخمس سنوات إبعاد وهو حكم قاس جدا بالنسبة لشيخ تجاوز الستين من العمر.⁽¹⁾

تقبل الشيخ حكم المحكمة راضيا ، وكم كانت المفاجأة كبيرة وشخصية الشيخ بن العابد عظيمة في حوار الذي تلا النطق بالحكم ، فقد سأل القاضي الشيخ هل من تعليق ؟ فرد ابن العابد عليه في تحد « اسمع أيها القاضي من قال لك بأن فرنسا ستبقى هنا عشر سنوات ، وتأكد سيدي أن الجزائر ستستقل مهما كان الأمر لأن آخر ثورة المسلم دائما هو الانتصار» فزلزلت هذه العبارة أرجاء القاعة، وأسرع القاضي بإنهاء الجلسة، حتى لا يسمع المزيد من الإهانات، ونقلت القضية إلى محكمة الاستئناف بالجزائر العاصمة ووقف الشيخ مرة أخرى أمام القضاء الفرنسي بشموخ المجاهد المؤمن⁽²⁾ ومثل ابن العابد أمامها يوم 21 جوان 1955 ومكان منها، إلا أنها صادقت على الحكم، فانتهى الأمر بالحكم عليه بعشر سنوات سجنا أمضى أولها في سجن الكدية بقسنطينة وفي ظل هذه الأحوال يتطوع بعض المحامين المسلمين للدفاع عنه والالتماس له بالشفاعة لكبر سنه، وقد نقل عنه أنه منع محاميه أن يقولوا في مرافعته أية كلمة يشم منها رائحة الاعتذار عنه أو الطلب العفو له أو تأويل غرضه الذي حمل من أجله السلاح وهو النضال والجهاد من الحرية والاستقلال.

(1) عتيقة سماتي ، مرجع سابق ، ص : 69.

(2) سليم كرام ، مرجع سابق ، ص : 205.

فأخرص لسان محاميه ولم يجد ما يقولون أو يدافعون عنه، و يحول إلى سجن البرواقية الذي أقام فيه إلى يوم إطلاق سراحه يوم 14 ديسمبر 1961.(1)

وهذا السجن وهو من السجون المعروفة والشهيرة بقساوة الحياة فيها وقساوة القائمين عليه من حراس ومسؤولين ، لما يقومون به ضد المساجين من تعذيب واعتداءات إلا أنه عاش بصبر وثبات و يذكر " عيسى كشيدة " أنه أذاق سجانیه المرارة والمجابهة والتعنت، فكان بهذه الشهامة محترما ومحبويا لدى جميع السجناء، جلست معه كثيرا وحدثني عن الماضي، ويورد على سمعي القائمة الطويلة للمسؤولين والمناضلين الذين يحضرون لخطبه الدينية ودروسه في الإرشاد وحب الوطن ، وحكى لي عن مغامراته مع الشرطة وعن الأعوان المتجسسين الذين عجز عن اكتشافهم»(2)

وقد ذكر من عاش معه في هذا السجن العديد من القصص التي ضرب بها المثل في الصمود والمشاركة، فقد قرر السجناء القيام بإضراب عن الطعام احتجاجا عن سوء المعاملة وطلبوا من الشيخ عدم المشاركة بحكم سنه وعدم قدرته على التحمل، فأبى وأضرب معهم ، ولم ينجح إضرابهم فعادوا خائبين إلى الأكل ، أما ابن العابد فواصل التحري، وزاد على أيامهم يوما آخر ضاربا أروع الأمثلة في الصبر والاحتساب، وقد ذكر " عيسى كشيدة " في كتابه " مهندسو الثورة " مدة إضرابه كانت اثني عشر يوما.(3)

(2) Ibid .p :128

(1) عتيقة سماتي ، مرجع نفسه ، ص : 70.

(3) سليم كرام ، مرجع سابق ، ص : 206.

كان في سجنه يتحلى بالصبر الجميل مدة سبع سنوات لم يزره أحد من أهله وذويه نتيجة لمنع المستعمر من هذا الحق إلا أنه كان صامداً شامخاً ، مستحقاً بآلام السجن وعذابه مستعينا بالله.

وفي مطلع الاستقلال يغادرين العابد سجن البرواقية منهوك القوى، قوي الإرادة والعزم وجد في استقباله أخاه الجيلالي وابن أخيه محمد العابد ، رفض أن يعود معهما إلى بلدته أولاد جلال، فحل أولاً بالعاصمة فحاول بعض تلاميذه وأصدقائه استبقاءه بالعاصمة فأبى ثم عرج إلى عين مليلة ليستحضر تاريخه وصلواته بين الطرقات وفصول المدارس ومكاتبها ثم حل ببسكرة ليشارك في احتفالات الاستقلال مع فوج الرجاء للكشافة الإسلامية رغم مرضه.⁽¹⁾ وقد حضر كلمة بالمناسبة ألقاها بالنيابة عنه السيد المرحوم "مبروك فطناسي".

رفض الشيخ أن يسلم النفس والجسد إلى الخمول والكسل والتقاعد، فرغم المرض وثقل السنين التي فاقت السبعين، إلا أن همته كانت بمثابة همة الشباب، ورآى أن دوره لم ينته بتحقيق الحرية التي ناضل من أجلها ، بعد أدائه فريضة الحج عاد إلى مريديه في مدرسة العرفان بعين مليلة مشرفاً على إدارتها وقد أبقى على رأس إدارتها مدة ثلاث سنوات، إلا أن شيخوخته لم ترحمه، وزاد عليه المرض وأعجزه، فأدرك أن مهمته في هذا الوجود قد باتت على وشك الانتهاء، فكانت هذه السنوات الثلاث آخر عهد لشيخنا بن العابد في عالم التعليم والتلاميذ والإدارة ، ولم يكن حريصاً على الإدارة أو التمسك بها، بل يشهد كل تلاميذه أنها أخذت منه أكثر مما أعطت له، أخذت أجمل أيام عمره وأدرك فيها أنه صاحب رسالة ومسؤولية، فكان نعم القائم بالواجب الوطني ونعم المجاهد الذي أخلص لدينه ووطنه.⁽²⁾ بعدما اشتد عليه المرض وعجز عن القيام بمهامه عاد إلى مسقط رأسه بأولاد جلال حيث أمضى بقية أيامه بين أهله وذويه إلى أن وافته المنية.

(1) عتيقة سماني ، مرجع سابق ، ص : 71.

(2) سليم كرام ، نفسه ، ص : 208.

توفقت عجلة حياة الشيخ محمد بن العابد الجلاي السماني يوم الخميس 02 فيفري 1967 بمستشفى بسكرة بعد أن صارع المرض بتقبل أمرالله، حينما أسلمه المرض والمعاناة الكبيرة التي لحقت بجسمه النحيل وما كابده من شقاء السجن والتعذيب ، وهدته مسؤولية التربية والتكوين للأجيال التي تخرجت على يديه ، ينام نومته الأخيرة بعد أن أدى واجبه وحرص على إعداد جيل جديد بمواصلة حمل الرسالة والمضي قدما بالوطن والوطنية إلى أحسن حال.

عاد ابن العابد جسدا إلى بلدته أولاد جلال، إلا أن الروح طافت كل شبر من أرض الجزائر من شرقها إلى غربها ومن شمالها إلى جنوبها ، ترسم ابتسامة طفل اعتر بهويته وشيخ أنشد عزة الوطن، وشاب ردد ترانيم الحرية، وفتاة كانت أناشيد ابن العابد نبراسها في تربية أطفالها أطفال الجزائر، خرجت جنازة الشيخ الوقور في موكب مهيب من بيت والده بالبلدة التي غصت بوفود المشيعين الذي جاؤوا من كل حدب وصوب. (1)

كما شاركت وزارة التربية والتعليم بوفود رسمية وقد طلب السيد "أحمد طالب الإبراهيمي" من السيدين "محمد الصالح رمضان" و"حمزة بخوشة" لتمثيله والنيابة عنه كما شاركت وزارة الأوقاف هي الأخرى بوفد رسمي. (2)

وقد قام فوج الرجاء للكشافة الإسلامية ببسكرة بمراسيم الدفن بقيادة الشيخ مبروك فطناسي صديق النضال وتلميذه الشيخ المربي والكشاف المصلح الأستاذ " محمد الصالح رمضان " إلى جانب الشيخ الفاضل والمعلم المربي " نعيم النعيمي " ودفن الشيخ بمقبرة أولاد جلال قرب أسلافه وآبائه.

(1) سليم كرام، مرجع سابق، ص : 209.

(2) عتيقة سماتي، مرجع سابق، ص : 79.

فرحم الله الشيخ محمد ابن العابد الجلاي السماتي وجعل دعاء المشيعين زادًا في ميزان حسناته وكانت الجنة مثواه، وطيب الله الثرى الذي عمل مع ثلة من أمثاله على تخليصه من دنس ورجس المستدمر الفرنسي.

خامسا : آثاره

كان قلم الشيخ سيالا وسيفا في وجه المستعمر والمفسدين لا يستسلم للهوان ولا للراحة ما ينفك ينتهي من مشروع إلا ويكون قد خطط لغيره ، فكانت آثاره بارزة ومنشورة في الصحف العربية والوطنية.

ففي مجال الصحافة كانت بصمة في الجرائد الجزائرية كالفاروق، ولسان الدين، والصديق والنجاح والشهاب وغيرها ، كما أنه أصدر جريدة " أبو العجائب " رفقة صديقه أحمد بوشمال سنة 1934.(1)

كما كتب الشيخ بعض القصص القصيرة الهادفة اعترف له العديد من الباحثين الأكاديميين والدارسين بقيمة انتاجه من الناحية الفكرية والبنية الفنية مما جعله يُعد أحد من رواد فنها في الإنتاج الجزائري الحديث ،من بين مواضيعه في أدب القصة (في القطار - السعادة البتراء - الصائد في الفخ - أعني على الهدم أعنك على البناء - تموز يوليو- بعد الملاقاة- على صوت البدال - عاقبة القمار).

إضافة إلى عدة مسرحيات منها(مسرحية الجهل)- إلى جانب كتاب (تقويم الأخلاق) الذي أصدره سنة 1927 وطبع بالجزائر،و الذي هو عبارة عن مقالات و ترتجم لشخصيات أدبية حيث يقول في قسم التراجم (للأمة الجزائرية قسط وافرا من تراث العظمة الشرقيو و نور النبوغ الشرقي الذي يلوح لنا من حين لأخر...)(1) ،وكتاب مدرسي بعنوان (الأناشيد المدرسية لأبناء وبنات المدارس الجزائرية) صدر سنة 1939 بتونس (2).

(1)محمد بن العابد،تقويم الأخلاق،المطبعة الجزائرية الإسلامية،قسنطينة، الجزائر 1927، ص:46

(2)سليم كرام، مرجع سابق،ص:210

الخاتمة

الخاتمة

ختاما لهذه الدراسة التي تناولت فيها جانبا من حياة الشيخ "محمد العابد السماتي الجلاي" ودوره وإسهاماته في الحركة الوطنية والثورة التحريرية الجزائرية وبعد الاستقلال من الفترة الزمنية امتدت من مولده سنة 1890 إلى غاية وفاته سنة 1967 مبرزاتفاعل هذه الشخصية مع الأحداث الوطنية والمحطات التاريخية التي عرفتها الجزائر آنذاك، ومن أهم النتائج التي توصلت إليها حول هذه الشخصية الوطنية الثورية ما يلي :

- أن الشيخ "محمد بن العابد السماتي الجلاي" وهب حياته وكرسها لخدمة الجزائر من أجل إسترجاع استقلالها بداية من نشاطه في الحركة الوطنية بمختلف وسائلها إلى انخراطه في صفوف جيش التحرير الوطني .

- البيئة العربية المحافظة ساهمت في صقل شخصيته في أسرة متدينة حافظة لكتاب الله ملتزمة بالأخلاق الإسلامية الفاضلة، ترعرع بين أحضانها ونشأ فيها، فكانت بمثابة السد المنيع في وجه الاستعمار الفرنسي .

- إن الفكر الإصلاحى كان له أثر كبير في تحويل عميق لشخصية بن العابد من خلال التحاقه بجامع الأخضر بقسنطينة و دراسته على يد العلامة "عبد الحميد بن باديس".
- أن بن العابد كان موسوعة متميزا في نشاطه التربوي التعليمي الحر معدا لجيل الثورة محدثا النقلة النوعية في فكر الطفل الجزائري من خلال تحصينه بالروح العربية الإسلامية الأصلية.

- أن "محمد بن العابد" كان يحمل مشروعا حضاريا ضد كل ما هو فرنسي يسعى لتخريب الشخصية الوطنية، فكانت أناشيده صخرة صلبة في وجه كل مشاريع المسخ والتغريب - إنه كان مدرسا ومعلما لأبطال الثورة الذين تخرجوا على يده وغرس فيهم روح الثورة والاستقلال من برائن الاستعمار البغيض، منهم البطل الشهيد "محمد العربي بن المهيدى".

- "محمد بن العابد" كان متميزا في الحركة الوطنية ترك آثارا وبصمات خالدة فكانت كتاباته اللاذعة والناقدة والمحرضة في مختلف الجرائد العربية، وإنشأه لجريدة أبو العجائب الناقمة الناقدة بمثابة قذائف من النار ضد المستعمر الفرنسي وكل أذنايه والمشعوذين من أصحاب الفكر الانهزامي.

- كان مرشد الكشافة الإسلامية وانشئ فوج الرجاء بسكرة الذي تخرج على يده العديد من أبطال وزعماء الثورة التحريرية الكبرى، فأدرك أن الكشافة هي المهد الأول لتخريج وإعداد جيل الثورة .

- إن "محمد بن العابد السماتي الجلاي" أدرك قيمة المسرح وتأثيره في مجتمع فانكب على تأليف العشرات من المسرحيات الهادفة التي تعالج الآفات الاجتماعية والخرفات السائدة آنذاك ، فكان المسرح منبرا للمقاومة والكفاح ضد العدو الفرنسي.

- كان فكر "محمد بن العابد" حرا طليقا لم يتعصب إلى أي تجاه إلا الوطن، فكان يبارك انخراطه ويساهم في كل عمل أو فكرة من أجل استرجاع السيادة فكان انخراطه في حزب الشعب وحراكه السياسي داخل هياكله ومؤمنا بأفكاره الاستقلالية رغم بعض معارضييه الذين آذوه في نفسه وقوته، إلا أنه صبر من أجل الجزائر فقط.

- إن "محمد بن العابد" كان يحمل عبئ الثورة قبل أن تتطلق، وعند الشرارة الأولى كان من الأوائل الملبين لنداء أول نوفمبر رغم شيخوخته ومعارضة محبيه ومنعه من صعود الجبل إشفاقا عليه للسنوات الطوال التي أنهكت جسده، إلا أنه كان شابا في قالب شيخ وقال كلمته المشهورة " الثورة لا تعرف الشيخوخة".

- كان "محمد بن العابد" مثالا للصبر والتضحية رغم التعذيب الذي لحق به في سجنه وتعرضه لكل أنواع العذاب الذي سلطه عليه المستعمر الفرنسي من أجل أخذ سر واحد من أسرار الثورة فلم يناله منه إلا التعنت والاستهزاء بهم.

-لم يركن "محمد بن العابد" بعد الاستقلال الى التقاعد والراحة وخذا من حقه لكن واصل عطاءه التربوي التعليمي في مدرسة عين مليلة فكان مسؤولا ومعلما و واعضا إلى آخر رفق في حياته.

-هذه بعض النتائج لهذه الشخصية الموسوعة التي تؤكد مساهمته ودوره في الحركة الوطنية والثورة التحررية .

وفي الأخير وبهذا العمل المتواضع أتمنى أن أكون قد سلطت الضوء على هذه الشخصية الفذة وأسهمت ولو بالقليل في إبراز دوره الريادي ومناقبه وخصاله الوطنية فكان مثالا للوطنية ومجاهدا من الطراز الأول، وصدق فيه قوله تعالى((من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا))
الآية 23 سورة الأحزاب صدق الله العظيم

الملاحق

البييليو اغرفيا

البيبلوغرافيا

أولاً : المذكرات الشخصية

- بن نبي (مالك) ، مذكرات شاهد للقرن ، ط2 ، دار الفكر ، الجزائر ، 1984

ثانياً: الكتب

أ (الكتب العربية :

- ابن خلدون (عبد الرحمان) ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصر حجم من ذي السلطان الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت لبنان ، المجلد السادس ، القسم الأول الجزء الحادي عشر .
- بن العابد (محمد) ، الأناشيد المدرسية لأبناء و بنات المدارس الجزائرية ، بيروت لبنان ، المطبعة التونسية ، تونس ، 1939
- محمد الزبيري العربي ، الثورة الجزائرية في عامها الأول ، دار البعث ، قسنطينة الجزائر ، 1984
- سعدالله (أبو القاسم سعدالله) ، الحركة الوطنية الجزائرية 1830- 1900 ، ط 1 ، دار العرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، دار السبيل للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2010
- عباس (محمد) ، نصر بلا ثمن الثورة الجزائرية (1954 - 1962) دار القصبية للنشر ، الجزائر ، 2007
- حرز الله (محمد العربي) ، منطقة الزاب مائة عام من المقومة 1830- 1930 ، دار السبيل للنشر والتوزيع ، الجزائر 2008
- زوزو (عبد الحميد) ، الأوراس إبان فترة الإستعمار الفرنسي 1837 - 1939 تر: مسعودة حاج مسعود ، دار هومة ، الجزائر ، 2005

-العربي (إسماعيل)، الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983

113

-العربي (إسماعيل) المدن المغربية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984

-قليل (عمار)، ملحمة الجزائر، ط1 ، دار البعث ، قسنطينة ، الجزائر ، 1991 ، ج 1

- مصمودي (فوزي) ، بسكرة بعيون عربية ، دارالهدى للطباعة والنشر والتوزيع

عين ميله ، الجزائر ، 2011

- مصمودي (فوزي) ، أعلام من بسكرة ، إصدار الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات

التاريخية لولاية بسكرة، مطبعة الصقر ، 2001 ج 1

- ، تاريخ الصحافة و الصحافيين في بسكرة و إقليمها من 1900 إلى 1954 ،

إصدار الجمعية الخلدونية للأبحاث والدراسات التاريخية لولاية بسكرة مطبعة

دارالهدى للطباعة والنشر والتوزيع عين ميله، الجزائر، 2006

- مرتاض (عبد المالك) ، فنون النشر الأدبي في الجزائر 1931 - 1954 ، ديوان

المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983

- ناصر (محمد) ، الصحف العربية الجزائرية من 1954 إلى 1974 ، ط3 ، دار

الغرب الإسلامي ، الجزائر ، 2007

- الواعي (محمود) ، تاريخ الأوراس ونظام التركيبة الاجتماعية و الإدارية أثناء

فترة الاحتلال الفرنسي 1837 - 1954 ، دار الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، دون سنة

ب الكتب بالفرنسية

- Aissa Kechda .les Architectes de la révolution .chihab edtion

.Batna .Alger .2001

ثالثا: الرسائل الجامعية

- فريح (لخميسي)، دور العقيد أحمد بن عبد الرزاق (سي الحواس) في الثورة التحريرية

(1954 - 1959)،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،شعبة في التاريخ المعاصر ،
تخصص المقاومة والثورة التحريرية جامعة الجزائر ، كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، قسم
التاريخ السنة الجامعية 2009/2008

114

- مصمودي(نصر الدين)، دورومواقف العقيد محمد شعباني(في الثورة ومطلع الإستقلال
1954 -1964)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير،شعبة في التاريخ
المعاصر،تخصص المقاومة والثورة التحريرية ، جامعة الجزائر، كلية الآداب والعلوم
الإنسانية ، قسم التاريخ السنة الجامعية 2009 / 2010

رابعاً: المحاضرات والمقالات

سليم كرام ((محمد بن العابد الجلاي العالم و المربي و الوطني المجاهد)) من
أعلام الولاية السادسة التاريخية ، إصدار الجمعية الخلدونية للأبحاث و الدراسات
التاريخية لولاية بسكرة، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر ، 2013
- حداد مصطفى ، (انتفاضة البازيد من سكان واحة العامري و المناطق المجاورة سنة
1876 ، الثقافة ، الجزائر السنة الرابعة عشر ، ع 81 شعبان ، رمضان 1404 هـ/ مايو
، يوليو 1984 م .

خامساً : الجرائد

البصائر ، ع : 292 - 05 نوفمبر 1954

سادساً : القواميس والمعاجم

منجد اللغة و الأعلام ، دار المشرق ، بيروت ، لبنان

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الإهداء	
الشكر	
مقدمة	(أ ، ب ، ت ، ث ، ج ، ح)
الفصل الأول : محمد بن العابد السماتي الجلاي البيئة والنشأة والعلم	07
أولا : بيئة (منطقة الزيبان)	07
- مفهوم منطقة الزيبان	07
ثانيا :منطقة الزيبان والإحتلال الفرنسي	09
- معركة مشونش 1844	09
-إنتفاضة أهالي أولاد جلال جانفي 1847	10
معركة سريانة سبتمبر 1849	15
-ثورة الزعاطشة نوفمبر 1848	15
- ثورة الشيخ الصادق بلحاج 1858	16
- ثورة العامري 1876	17
رابعا : شخصيته	20
خامسا : إتحاقه بجامع الأخضر بقسنطينة	25
الفصل الثاني : محمد بن العابد الجلاي والحركة الوطنية	23
أولا : نشاطه التربوي والتعليمي	26

أ (تدرسه	23
ب (آراءه التربوية	23
ثانيا : محمد بن العابد الجلاي والأنشودة الوطنية	27
ثالثا : نشاطه الصحفي	30

116

رابعاً : نشاطه الكشفي	35
خامساً : نشاطه المسرحي	36
سادساً : محمد بن العابد ونشاطه في حزب الشعب	39
الفصل الثالث : محمد بن العابد الجلاي والثورة	44
أولاً : لمحة عن إندلاع الثورة الجزائرية	41
ثانيا : إلتحاق محمد بن العابد الجلاي بالثورة	49
ثالثاً : محنة محمد بن العابد الجلاي مع الإعتقال والسجون	52
رابعاً : وفاته	57
خامساً : آثاره	58
الخاتمة	59
الملاحق	62
- ملاحق الوثائق	62
- ملاحق الصور	102
- البيبليوغرافيا	113
- فهرس المحتويات	116

